ايام حسني الزعيم

نذير فنصه



١٣٧ يوماً هزت سورية

دار الآفاق الجديدة

نذير فنصه

ايام حسني الزعيم
١٣٧ يوماً هزت سوريا

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

كلمة الناشر

- انقلاب الزعيم حسني الزعيم، الذي غير في العام ١٩٤٩ موازين الحكم في سورية واثر في ما بعد في مجريات احداث العالم العربي.
- الانقلاب الذي اثار خيال «الضباط الاحرار» في مصر فخلعوا الملك فاروق عام ١٩٥٢.
- قصة الانقلاب تنشر للمرة الاولى.

حسني الزعيم؟ شيطانا كان ام ملاكا؟ مخلصا كان ام مدفوعا؟ مصلحا ام مخربا؟ من كان معه؟ من كان وراءه؟ ماذا كان يريد بالضبط؟ كيف كان يرى سورية وهو يحاول في فترة خاطفة ان يقولبها كما يريد؟ من عمل معه؟ ومن تآمر ضده؟

- بعد ثلاثين سنة يفتح احد الذين خططوا مع الزعيم انقلابه، ملفاته ليروي كل شيء.
- هذا الشخص هو نذير فنصه، الصحافي السوري الذي كان صديق الايام الصعبة للزعيم، ثم نسيبه، ثم رفيق ايام المجد والتألق، ثم وحيدا بعد السقوط.
- كان نذير فنصه، بفعل مركزه الصحفي غداة الحرب العالمية الثانية في سورية ذا اتصالات وصداقات مع الذين صنعوا تاريخ سوريا الاستقلالي. وبحكم هذه الصفات اعطى، ربما دون ان يدري، الزعيم بعدا سياسيا لم يكن ليحلم به.

- فجأة ستعود كل الشخصيات السورية الى الظهور من العدم او من النسيان لنرى كيف كانت وماذا فعلت وكيف دفعت، سلبا او ايجابا، الزعيم حسني الزعيم الى القيام بانقلابه الذي دام ١٣٧ يوما ولكنها ايام هزت سورية.

ايام حسني الزعيم
١٣٧ يوماً هزت سوريا

●صباح يوم الاربعاء في ٣٠ اذار (مارس) ١٩٤٩: كانت شوارع دمشق هادئة و مبللة بمطر الليل الفائت، ثم ظهر مشهد غير مألوف في العاصمة السورية.

هذا المشهد عاد وتكرر في السنوات التي تلت، سواء في شوارع دمشق، او في شوارع بعض العواصم العربية، وهو الدبابات والمصفحات التي ترابط حول المباني العامة، او التي يطوف بعضها في الشوارع. ابراج هذه الدبابات والمصفحات مفتوحة يطل من كل منها جندي على رأسه خوذة حديدية ويده على الرشاش الكبير.

الدمشقيون لم يكونوا ليعرفوا بعد التفاصيل التي ترافق هذه المظاهر العسكرية الجديدة في الشوارع، اي اجازات المرور او الهرع نحو الراديو للاستماع الى الحدث الذي ادى الى ذلك. وفي اختصار، ما معنى كل هذا الجديد الذي يجري في عاصمتهم؟

الجنود، ايضا، لم يكونوا يعرفون اكثر. فهم لم يسألوا احدا من المارة في ساعات الصباح الاولى عما اذا كان يحمل اجازة مرور. لم تكن تبدو عليهم اي عصبية او توتر. لم يكن الخوف قد دخل بعد في العادات اليومية للسوريين.

شوهد مواطن يقترب من احد الجنود الذي كان يقف بالقرب من دبابته على مدخل مبنى البرلمان في شارع الصالحية ويسأله: أخي... شو في؟ اي، ماذا حدث؟ فيجيب الجندي باقتضاب: انقلاب!

فيسأل المواطن بالنبرة البريئة ذاتها: انقلاب؟... شو يعني انقلاب؟

كان هذا هو الواقع آنذاك. لم يكن يعرف احد ما هو الانقلاب العسكري.

سمعناه ايضا كان كل شيء جديدا، لان اذاعة دمشق قطعت برامجها المعتادة وصارت تبث الموسيقى العسكرية. وفي السابعة صباحا قطع المذيع «المارش» العسكري واعلن بصوت جهوري مرتجف النبرات ما يلي:

بلاغ رقم واحد

«مدفوعين بغيرتنا الوطنية، ومتألمين مما آل اليه وضع البلد من جراء افتراءات وتعسف من يدعون انهم حكامنا المخلصون، لجأنا مضطرين الى تسلم زمام الحكم مؤقتا في البلاد التي نحرص على المحافظة على استقلالها كل الحرص. وسنقوم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز، غير طامحين الى استلام الحكم، بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديموقراطي صحيح، يحل محل الحكم الحالي المزيف.

واننا لنرجو من الشعب الكريم ان يلجأ الى الهدوء والسكينة، مقدما لنا كل المعونة والمساعدة، للسماح لنا باتمام مهمتنا التحريرية، وان كل محاولة تخل بالامن، ويمكن ان تظهر من بعض العناصر الهدامة الاستعمارية، تقمع فورا دون شفقة او رحمة.

٣٠ اذار ١٩٤٩

القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة».

الاضطرار الى تسلم الحكم «مؤقتا» والتهيئة «لحكم ديموقراطي صحيح». وعدم الطموح الى «استلام الحكم»... كل هذه وغيرها من العبارات اصبحت من المفردات الطبيعية التي تؤلف عددا من البلاغات «رقم واحد» التي ضجت بها بعض اذاعات العالم العربي في العقود التي تلت.



حسني الزعيم اثناء الانتداب الفرنسي
وكان ضابطا في «جيش الشرق»

منذ تلك اللحظة، اي في السابعة من صباح ٣٠ اذار (مارس) ١٩٤٩، بدأ اول فصل في مأساة الانقلابات العسكرية، ووجدت نفسي فجأة في خضم حدث عربي كبير غير منتظر، غير في وجه سورية والمنطقة العربية تغييرا عميقا.

•لن تكون كما كانت

بالنسبة الى المواطن السوري او العربي آنذاك، الغموض كان كاملا: قائد الانقلاب لم يعلن عن نفسه، واقتصر على مهر البلاغ رقم واحد بتوقيع «القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة». لماذا؟ ماذا يخشى؟ هل سيعيد امانة الحكم الى اهلها، ام ان مظاهر الشرعية الدستورية

سيستهلكها شيئا فشيئا. الامر الواضح هو ان سورية لن تكون بعد الان كما كانت في الماضي.

قائد الانقلاب هو الزعيم حسني الزعيم (الزعيم كان اللقب العسكري المعرب عن «كولونيل» وقد تغير الى عميد عندما توحدت في ما بعد الرتب العسكرية في الجيوش العربية). وكان عمره يوم الانقلاب خمسين سنة. لم يكن اسمه او حتى صورته امرا مجهولا على السوريين في ذلك الصباح من اذار (مارس) ١٩٤٩.

معرفتي بالزعيم حسني الزعيم تعود الى سنة ١٩٤٥، اثر اجراء الانتخابات النيابية التي حملت الى الواجهة السياسية الاولى زعماء سورية المستقلة، مثل شكري القوتلي وجميل مردم وسعد الله الجابري ورشدي كيخيا وناظم القدسي وعدنان الاتاسي وحلمي الاتاسي واسعد هارون، والشاعر بدوي الجبل واكرم حوراني ورئيف الملقي وعبد الرحمن العظم ونجيب الريس وغيرهم. كنت رئيس تحرير جريدة «الف باء» الواسعة الانتشار انذاك. كان بعض هؤلاء السياسيين والصحافيين يجتمع يوميا في مقهى «الطاحونة الحمراء» على ضفة نهر بردى في دمشق. كانت الحلقات الدائمة تتشكل من اكرم حوراني وصلاح البيطار وميشال عفلق وفريد مرهج وهاني السباعي ورئيف الملقي وحلمي الاتاسي والشيخ طراد الملحم، معظمهم كانوا مجموعة النواب الشباب يلتقون مع الصحافيين لساعتين قبل ظهر كل يوم حول فناجين القهوة ودخان النرجيلة.

احيانا كان يدخل علينا شخص قصير وسمين يقدم نفسه الينا باسم حسني الزعيم. كان يجلس مع بعض هذه الحلقات الدائمة، ولا يبدو انه كان على معرفة وثيقة باعضائها.

كان احيانا يتحدث الينا فيقول انه ضابط سابق في الجيش الذي كان في ايدي الفرنسيين عندما كانت سورية لا تزال تحت الانتداب

كان يخبرنا ان الفرنسيين الديغوليين اعتقلوه خلال الحرب العالمية الثانية وان سراحه اطلق عندما حصلت سورية على استقلالها، ولكنه سرح من الجيش.

كان احيانا ايضا، يعود اكثر بذاكرته فيحدثنا عن دراسته العسكرية في سورية وتركيا، ثم في فرنسا في ما بعد، وكيف اعتقله البريطانيون في مصر خلال الحرب الاولى، وكيف التحق بعد ذلك بالجيش الفيصلي العربي.



الزعيم (في الوسط) ايام الفرنسيين

ثم بدا حسني الزعيم يشكو وضعه الحالي، فكان يخبر بعض هؤلاء النواب الذين كنا نجالسهم بأن قادة سوريا المستقلة يترددون في اعادته الى صفوف الجيش، وانه ينوي اقامة دعوى لدى مجلس الدولة لاسترداد حقوقه العسكرية. كان يرتدي طبعا الملابس المدنية، ولكن اخر رتبة له في الجيش عند تسريحه كانت رتبة عقيد. كان يدخن النرجيلة باستمرار طالما هو جالس معنا.

بعض النواب في حلقتنا في مقهى « الطاحونة الحمراء » تحمس لمطالب حسني الزعيم ووعده بالتدخل من اجل اعادته الى الجيش. ثم، شيئا فشيئا، تعمقت علاقته معي وصار يزورني يوميا في مكتبي في جريدة « الف باء ».

من خلال جلساتي المسائية معه في مكتبي تعرفت اكثر على حسني الزعيم وماضيه. فهو من مواليد حلب عام ١٨٨٩، ووالده كان رجل دين وكان مفتي الجيش العثماني، وله شقيق هو رجل دين توفي قبل اعوام



١٩٤٦: الزعيم وعديله (نذير فنصه) مع زوجتيهما

قليلة واسمه الشيخ صلاح الدين الزعيم، وشقيق اخر هو بشير الزعيم. وكان حسني يردد دائما موضوع رغبته في العودة الى الجيش، مما جعلني مرة وخلال زيارة لي الى وزير الدفاع انذاك المرحوم احمد الشراباتي، اتحدث في هذا الموضوع مع الوزير، ولكن ما ان لفظت اسم حسني الزعيم حتى هب الوزير الشراباتي واقفا وصارخا: يا لطيف... لا تذكر هذا الاسم مرة ثانية امامي. هذا رجل مغامر والعياذ بالله منه.

وعندما حلَّ جميل مردم محل احمد الشراباتي في وزارة الدفاع، ذهبت لمقابلته وقلت له ان جيشنا فتي ونحن بحاجة الى ضابط مثقف عسكرياً مثل حسني الزعيم الذي مر على المعاهد العسكرية الكبيرة في تركيا وسورية وفرنسا.

●عاد الى الجيش

اعيد حسني الزعيم الى الجيش بعد تدخلات عديدة مني. وكان ذلك في عام ١٩٤٦. ثم تدخلت مرة ثانية مع جميل مردم فعيّن بعد اشهر رئيسا للمحكمة العسكرية في دير الزور (شمال سورية).

قدَّر لي حسني الزعيم هذه الوساطة كثيرا، وصارت صداقتنا اقرب الى الاخوة ولكنه صار يشكو بأن مرتبه لا يكفي للاقامة في دير الزور، وانه يفضل العودة الى دمشق حيث يوجد منزله، الى جانب انه لم يكن سعيدا بمنصبه الذي جعله ندا لمن يعتبرهم من تلامذته العسكريين، كبرياؤه كانت اكثر مما هو معهود لدى ضابط في رتبته.

تدخلت هذه المرة لدى رئيس الجمهورية المرحوم شكري القوتلي لنقل حسني الزعيم. فكانت لدى الرئيس تحفظات كثيرة حول تقلبات مزاج الزعيم وسمعته كمغامر ومقامر. كنت اقول للرئيس القوتلي ان ذلك كان ايام شباب الزِعيم، ولكل شباب نزوة، وهو الان مستقر حتى انه لا يشرب الخمرة لاصابته بداء السكري، كما انه لا يقامر لانه مفلس.

كان الزعيم في شبابه مغامرا، فهو مرة، مثلا، اختلف مع ضابط فرنسي بسبب مراقصة سيدة فاستنفر قطعاته العسكرية في اسكندرون واعتقل هذا الضابط. كان احيانا مغامرا، ويقال انه كان يغش في اللعب «ويلغم» الورق - بلغة أهل الميسر.

نجحت تدخلاتي مع رئيس الجمهورية ونقل حسني الزعيم الى دمشق

وعين مديرا عاما للشرطة.والحق يقال اعطى الزعيم لمركزه الجديد هيبة وجدية كانتا تنقصانه. قد يكون الجانب «المسرحي» من شخصية الزعيم ساهم في ذلك، ولكنه في اي حال اصبح شعبيا لدى رجال الشرطة فاضفى الاحترام عليهم في نظر المواطنين. وكذلك اصبح شعبياً لدى المواطنين الذين لمسوا تدابير تنظيمية جديدة افادت حياتهم اليومية.

كان ذلك عام ١٩٤٨، هذا التاريخ الذي لا ينسى في اذهان العرب، فقد اعلن قيام دولة اسرائيل وبدأت الجيوش العربية معركة فلسطين الاولى، التي انتهت بالشكل المؤسف الذي انتهت اليه. كان قائد الجيش السوري انذاك عبد الله عطفة.

في خضم مناخ القهر والحزن الذي عاشه العرب في ذلك العام، جاءني حسني الزعيم الى منزلي ليقول لي، بعدما تحدث مطولا عن وضع الجيش السوري في الجبهة، انه سيفعل افضل بكثير من عبد الله عطفة لو عينه شكري القوتلي قائدا للجيش.

وبرغم الصورة السوداء التي رسمها الزعيم عن وضع الجيش السوري فقد اثار مثلا نقطة عسكرية كانت ثورية في مفهوم تلك الايام. فقد قال لي الزعيم خلال حديث تلك الليلة انه من الخطأ مواجهة اسرائيل بالجيوش العربية النظامية، لان العصابات الصهيونية مجهزة افضل ومدعومة سياسيا، بشكل اجدى، من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي، وهي تواجه الجيوش العربية بحرب عصابات، وعلى العرب اللجوء الى مفهوم هذه الحرب.

في الواقع، اخذت بعرض حسني الزعيم هذا وذهبت في اليوم التالي لمقابلة رئيس الجمهورية شكري القوتلي ووزير الدفاع جميل مردم. فوقع كلامي لدى كل منهما موقعا حسنا لم اكن اتوقع سرعته. فقال لي الرئيس القوتلي: هل تكفله؟ فأجبت طبعا، فهو رجل اقلع عن الماضي المغامر

واثبت قدرته في القيادة العامة للشرطة.

فعلا، رفع حسني الزعيم الى رتبة زعيم وعين قائدا للجيش. وهذا الحدث جعل حسني الزعيم منتشيا بنفسه، مليئا بجاله. فاللقب الجديد يرن افضل مع اسم العائلة: الزعيم حسني الزعيم.

ارتدى قائد الجيش الجديد بزة القيادة للمرة الاولى وصفّ عليها النجوم والاوسمة والشارات، وجاءني الى منزلي فورا ليعرض نفسه علي وهو يضعها. كان يتمخطر امام المرآة لا يصدق ما يراه فيها. كان يسألني عشرات المرات: نذير، نذير، الست رائعا في هذه البزة؟

جلست، انا، الى الكرسي المواجه للمرآة أتأمل هذا الرجل السمين الظريف، لم يكن يخطر لي لحظة انني اواجه الرجل الذي سيحكم سورية، ثم يواجه بعد اشهر نهاية بشعة لم يكن يستحقها.

كان يخطر لي كيف غضبت منه قبل اشهر وامتنعت عن الكلام معه، او حتى استقباله في مكتبي عندما علمت انه اصبح عديلي، اذ تزوج من شقيقة زوجتي دون علمي او طلب رأيي كما كانت تقتضي ظروف الصداقة.

•قصة زواج

قصة زواج حسني الزعيم قصيرة وخاطفة مثل كل شيء قام به في حياته الخاطفة. فقد ذهب مرة الى حلب لزيارة صديق له، هو الدكتور كامل اشرفيه، مقيم في الطبقة التي تعلو المنزل الذي يقيم فيه والد زوجتي احمد باقي وزوجته واولاده وبناته.

لا ادري كيف تم الزواج، ولكن الذي اعرفه انه سبق وتعرف على شقيقة زوجتي واسمها نوران، في منزلي مرتين، ثم التقى بها عند صديقه الذي يسكن في البناية ذاتها، مع الباقي، ثم تم الزواج في اربعة ايام.

عارضت الزواج اولا لانه يكبر نوران بثلاث وعشرين سنة، وثانيا

لانني لم اكن ارغب في ان يَدخل حياتنا الخاصة شخص له ماض عاصف مثل حسني الزعيم، وله مستقبل مجهول فيقتحم الهدوء العائلي الخاص الذي كان محيطا بي.

ومرة بعد اسابيع من هذا الزواج والقطيعة التي رافقته، دق جرس منزلي في دمشق ودخل حسني الزعيم وعروسه وهما يضحكان من الاعماق، ثم قال لي الزعيم: خلصنا، هذا امر واقع، لقد تزوجنا وها نحن في منزلك، هل تطردنا؟

ذاب الخلاف العائلي وعادت صداقتنا بين القبلات والضحكات المتبادلة.

كنت لا ازال اسمع ضحكات الزعيم، عندما تنبهت الى انه ما زال امامي يتطلع الى نفسه في المرآة: نذير... نذير الست رائعا في هذه البدلة؟

الضحكات العميقة لم تدم طويلا، اذ تعاقبت عليه احداث ظالمة ولدت في نفسه ذاك القرار الرهيب: الانقلاب العسكري.

كان النائب فيصل العسلي، امين عام الحزب الاشتراكي التعاوني، يشن بصورة دورية الحملات الكلامية في مجلس النواب ضد القائد الجديد للجيش السوري، ومرة اتهم النائب العسلي الزعيم حسني الزعيم وابراهيم الحسيني قائد الشرطة العسكرية بأنهما خططا لوضع قنبلة انفجرت في احد مكاتب حزب العسلي.

هنا اتضح امران: الاول ان فيصل العسلي يحمل على الزعيم لانه كعادته في رفض الطلبات الخاصة، رفض طلبا للعسلي بشأن نقل احد رجال الشرطة من مركز الى اخر. والثاني ان الزعيم والحسيني كانا صادقين عندما نفيا أي علم بأمر قنبلة مكتب الحزب الاشتراكي. اذ تبين في ما بعد بشهادة رجل ما يزال حيا الى الان هو علي الايوبي،

وكان الساعد الايمن للعسلي، ان الحزب نفسه هو الذي قرر وضع القنبلة ليدعم الحملة الكلامية لرئيسه في مجلس النواب ضد الزعيم.

كان الزعيم حسني الزعيم يذهب لمقابلة رئيس الجمهورية شكري القوتلي ويقسم امامه بشرفه العسكري، ويقسم بالقرآن الكريم، انه لا يعلم شيئا من امر هذه القنبلة.

كان رئيس الوزارة ووزير الدفاع انذاك، خالد العظم، الذي برغم كفاءاته العديدة كرجل دولة، متعجرفا متعاليا، فخورا بالارستوقراطية الاقطاعية التي ينتمي اليها. كان العظم يكره الزعيم.

كنت اذهب الى مكتب العظم لمقابلته والتحدث في امر الحملة الظالمة على الزعيم. كنت اقول له انني لا اتدخل لكون الزعيم عديلي، لانني كنت ضد ان يصبح عديلي، ولكنه قائد الجيش السوري الان، فإما ان يحترم منصبه او ان يقال.

هنا ازدادت الحملة الظالمة ضد الزعيم، ودخلت الصحف طرفا فيها فاتهم بأنه وراء غش نوعية السمن الذي يستعمله الجيش السوري وذلك بالتعاون مع التاجر المورد للجيش لقاء مبلغ من المال.

• الباكي والشاكي

كان الزعيم، هذا الرجل ذو الهالة الكبرى في سورية، يأتي الى منزلي ويبكي شاكيا من ظلم الحملة عليه، حتى انه اقترح مرة على شكري القوتلي ان يقيله من منصبه حفاظا على كرامته، وان يعينه محافظا في حلب، كان الزعيم، عندما يذهب الى مكتب رئيسه المباشر وزير الدفاع خالد العظم، يلاقي تجاهلا بل وتحقيرا حين ينتظر ساعات بعد الموعد المعين حتى يفتح له مكتب العظم، واحيانا لم يكن هذا المكتب ليفتح فيعود الزعيم من حيث جاء.

كان مدير المشتريات في الجيش العقيد انطون بستاني، وكان الزعيم

يقول انه من المحتمل ان يكون المتعهد ببيع السمن الى الجيش قد غش في النوعية، خاصة وان الجيش السوري انذاك لم يكن يملك مختبرات لتحليل ما يقدم اليه من مواد.

هنا تكررت، خلال جلساتي الخاصة والعائلية مع الزعيم، افكاره بأنه يريد القيام بانقلاب عسكري ويزج كل هؤلاء الذين اهانوه في السجن. كنت اهدىء اعصابه فأقول له: أنك شارفت على نهاية خدمتك العسكرية، وهناك مرتب تقاعدي مريح لك، ثم انك تزوجت فتوقف عن اية افكار مغامرة.

بعض النواب، نظم حملة نيابية لتخفيض ميزانية الجيش وتخفيض عدد افراده. واكثر من ذلك، كانوا يتكلمون في مجلس النواب عن تخفيض في رواتب الضباط. وهذا امر لا يمكن ان يطاق في صفوف الجيش السوري، الذي كان يعيش مثل كل البلدان العربية غليان ظروف الحرب الفلسطينية الاولى.

مرة جاءني الزعيم الى منزلي باكرا، ودخل. ولكنه لم يمكث طويلا، قال لي: سنسهر الليلة عندك، فجهز لنا بعض المأكولات والمشروبات. سألته: تحكي بالجمع؟ من انتم الذين ستحضرون الليلة؟ فقال: بضعة من ضباط تعرفهم ويعرفونك.

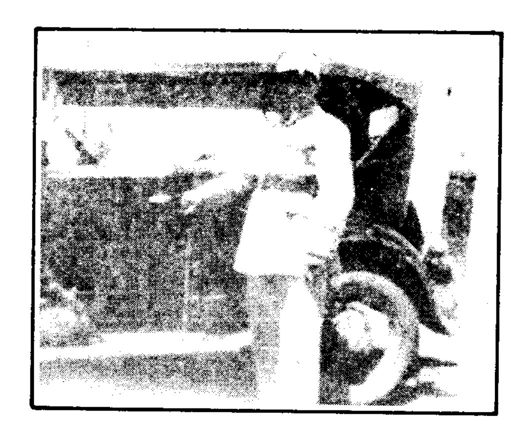
قلت له: وما مناسبة هذه السهرة؟ خير ان شاء الله؟ فقال الزعيم: « سنعملها ».

ثم نهض وخرج.

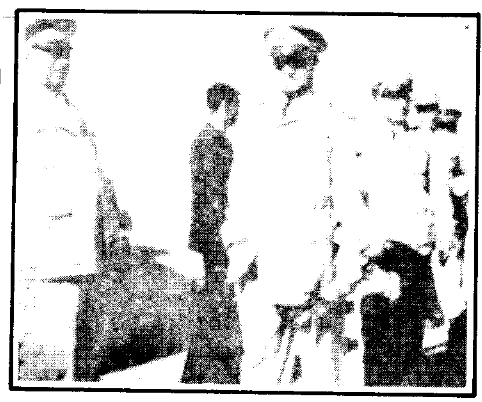
كان هذا في ٢٤ اذار (مارس) ١٩٤٩.

عند المساء، بدأ الضباط يتوافدون الى منزلي في عين الكرش في دمشق. كان عددهم ١٤ تقريبا، وكانوا جميعا في اللباس المدني. وقد بدأ توافدهم الى منزلي واحدا واحدا، من دون سياراتهم، وخلال فترات

متباعدة. وقد وصل اولهم وكان سامي الحناوي في السادسة، وحوالي الثامنة والنصف اكتمل الشمل بحضور الزعيم حسني الزعيم ●



الزعيم خلال الحرب العالمية الثانية



اثناء حرب فلسطين ١٩٤٨:
الزعيم والحناوي (الى اليسار)

ليل رئيس الوزراء
الانقلاب في السجن واسنانه في البيت

• اكتمل الشمل بحضور الزعيم حسني الزعيم. واذكر من الضباط الذين حضروا هذا الاجتماع في منزلي في عين الكرش في دمشق: سامي الحناوي، احسان شردم، ابراهيم الحسيني، محمد ناصر وعبد الله رسلان والعقيد محمود بنيان «ابو رفعت» مدير سلاح العشائر وسواهم.

بدأ الجميع بالشراب، حتى حسني الزعيم الذي لا يشرب لاصابته بداء السكري، شرب في تلك الليلة.

فهمت من احاديثهم الاولى ان شرارة الانقلاب تنطلق من الهجوم المستمر في مجلس النواب من قبل فيصل العسلي، نائب الزبداني رئيس الحزب الاشتراكي التعاوني.

كان قائد الجيش، اي حسني الزعيم، غاضباً، وكان الهياج ظاهراً أو مكبوتاً في وجوه الضباط الآخرين. فاستعرض الزعيم اجتماعاً مسبقاً عقده في اليوم الفائت في مقر القيادة العليا للجيش في القنيطرة، مع كبار ضباط الجيش، حيث فاتحهم في موضوع الهجوم غير المنصف الذي يتعرض له في مجلس النواب.

وبدا من حديث الزعيم في هذه السهرة في منزلي، انه فاتح ضباطاً آخرين في اجتماع القنيطرة بفكرة الانقلاب، ولكن هؤلاء وجدوا انه من ضرورات الحرص على الوطن في تلك الفترة الحرجة من المواجهة مع العدو الصهيوني، ان تطوى فكرة الانقلاب.

وبدلا من فكرة الانقلاب توصل الزعيم وكبار ضباطه في اجتماع القنيطرة الى اقتراح وضع مذكرة تكون بمثابة انذار الى السياسيين.

هنا اترك لذاكرتي ان تروي ماكان الزعيم يقوله متابعاً في تلك السهرة في منزلي، قال الزعيم: «تم اعداد المذكرة، وحملتها بنفسي صباح اليوم الى منزل رئيس الجمهورية، وتمت المقابلة معه في حضور رئيس الوزراء وزير الدفاع خالد العظم. وبدلا من ان اسمع ما يعني ان رئيس الجمهورية وخالد العظم سيهتمان بما ورد في المذكرة او ان تدرس على الاقل، قالا لي: اتدرون ماذا قالا؟ لقد قالا، أهكذا أصبح الجيش؟ هل اصبح الضباط يشتغلون مثل المخاتير ويحررون المحاضر؟ ».

وفي الواقع شعرت بما كان يشعر به الزعيم، وهؤلاء الضباط المجتمعون في منزلي، شعرت معهم بالمرارة من معاملة السياسيين لهم، كما شعرت معهم بمرارة أكثر عندما صاروا يرددون ان شائعة راجت بأن خالد العظم ينوي، متى وقعت الهدنة مع اسرائيل، الانتقام من الضباط الذين وقعوا تلك المذكرة.

وقد علمت فيما بعد انه، خلال وجود الزعيم ورفاقه في منزلي، كانت بعض الجهود الجانبية تبذل حتى تتخذ الدولة موقفاً أكثر تفهماً لمطالب حسني الزعيم وضباطه. ومن الذين قصدوا منزل رئيس الجمهورية شكري القوتلي، المقدم الدكتور عزت الطباع الذي عز اليه هياج الضباط والالم الذي يحز في نفوسهم.

وبعد حديث الطباع الى رئيس الجمهورية، ارسل القوتلي من يبحث عن العقيد بهيج الكلاس، احد كبار معاوني حسني الزعيم، وعن الذين حضروا اجتماع القنيطرة، فهرع الكلاس الى منزل رئيس الجمهورية وطال حديثه معه في حضور الطباع حتى الأولى بعد منتصف الليل.

كان الزعيم والضباط الذين في منزلي يتبارون في الكشف عن الاهمال الذي كان الجيش السوري ضحيته، فقال احدهم ان بعض الجنود كانوا يبقون اياماً بلا طعام، وقال ثان ان الضباط باتوا يرفضون القيام بالواجبات التي تتطلب منهم تولي اعمال اللجان، خاصة بعد اعتقال العقيد انطون بستاني ورفيقه فؤاد القربة وحسن غانم، وان الضابط الذي يعهد اليه بمهمة اللجان يعرب عن استعداده لقبول عقاب عدم تنفيذ الامر، من ان يصبح الى جانب زملائه في السجن.

وقال ضابط ثالث ان بعض الضباط الذين تخرجوا من الكلية العسكرية، مضت اربعة اشهر دون ان يصدر المرسوم بتعيينهم ملازمين، كما تقضي القوانين بذلك.

في الاولى بعد منتصف الليل، بدا من الجلسة ان الانقلاب واقع لا محالة، فطلب مني الزعيم ان احضر القرآن الكريم، فأحضرته. فتوالى الضباط واحدا اثر الآخر للقسم على الكتاب الكريم، بأنه سيحفظ السر: سر هذا الاجتماع وسر القرار بالانقلاب الذي موعده في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٤٩.

هنا اخذ الاجتماع طابعاً عسكرياً تقنياً، فوضعت على الطاولة الخرائط التي أحضرها المجتمعون، وبدأ الزعيم يوزع مهمات الاستيلاء على العاصمة وكيفية تحرك القطعات العسكرية نحو محاصرة المباني العامة ومنازل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب وبعض السياسيين الآخرين.

ومع ساعات الفجر الاولى، طلب مني الزعيم ان اوصله الى منزله، فهب الضباط كل في طريقه واستقللت سيارتي «السيتروين» باتجاه منزله المتواضع في احدى شقق نوري باشا، وكان خلال الطريق يتابع شتم السياسيين واحداً واحداً، متوعداً بما سيحصل لهم عندما يتم الانقلاب.

عندما عدت الى منزلي بعدما اوصلت الزعيم الى شقته، وجدت نفسي في حالة من تنطبق عليه «راحت السكرة وجاءت الفكرة» و«ركب في العقل مجدداً» - كما نقول في مثلنا الشعبي في حلب.

يا الهي.. ماذا افعل؟ لقد اقسمت على القرآن الكريم ان اكتم السر، ولكنني، من ناحية ثانية، لدي ذعر دائم من العنف والدم، وانا اصبحت متيقناً ان الزعيم، لو تسلم الحكم، فسيعدم القوتلي والعظم على الاقل ودون تردد.

خطر لي عندئذ اقرب الاصدقاء اليّ في الحكومة، وهو محسن البرازي وزير الداخلية، فقلت في نفسي لأذهب اليه حالياً وأحاول ان المح له عما في الجو، أو على الاقل اطمئن منه الى ان لديه معلومات ما عن امر خطير سيحدث لهذا البلد.

كان البرد قارساً في تلك الليلة الدمشقية ولكنني عدت واخذت سيارتي وذهبت الى منزل محسن البرازي في حي المهاجرين، اعترضني الشرطي الذي يحرس منزله، فطلبت منه ان يدخل ويقول للوزير انني في الخارج اريد مقابلته لامر خطير.

وبعد لحظات عاد الشرطي مشيرا الي بالدخول. وبدأت غرف المنزل تضاء، كما بدت لي من الخارج ووجدت البرازي وحده في منزله، اذ ذهبت زوجته واولاده الى حلب، كان طبعا في ملابس النوم ففوجىء بي وأنا أقول له: محسن بك، قم لنذهب الى شكري بك.

قال البرازي: خير ان شاء الله! ماذا حدث؟

قلت له: انني ارى من المناسب ان يعين حسني الزعيم محافظاً في حلب، او في اللاذقية، او اي مكان ترونه، ولكنني اذكر لك هاتين المدينتين لانه يحبها. وقد تستهويه الاقامة في واحدة منها.

قال البرازي:... ماذا تقصد؟ هل ينوي الزعيم القيام بانقلاب؟

قلت له: والله لا اعرف.

يبدو انني قلت عبارة «والله لا اعرف» بصورة ما لفتت انتباه الرجل الذكي، فقام الى الهاتف وطلب رئيس الجمهورية على رقمه الخاص.

قال البرازي للرئيس: نذير عندي، ويريد مقابلتك لامر هام.

ولكن يبدو ان رئيس الجمهورية قال للبرازي انه متوعك الصحة، وان طبيبه الخاص الدكتور عزت مريدن غادره منذ دقائق، وانه يرغب في مقابلتنا في اليوم التالي صباحا.

قلت في نفسي، قد يكون القوتلي على علم بما يحضر، وأنه على علم باجتماع القنيطرة والاجتماع الذي تم في منزلي.

• ليلة بلا نوم

عدت الى منزلي دون ان انام ما تبقى من هذه الليلة الطويلة. عند الساعة الثامنة صباحا اتصلت بطبيب رئيس الجمهورية. وهو في الوقت نفسه طبيبي وصديقي، لانني كنت اريد فقط معرفة ما اذا كان القوتلي فعلا متوعك الصحة ام انه تعلل بهذا العذر، فقالت لي زوجة الدكتور مريـدن التي ردت على التلفون ان زوجها مازال نائما لانه عاد من منزل الرئيس القوتلي مع الفجر تقريبا.

قلت لعقيلة الدكتور مريـدن انني اتصلت لكوني اشعر ببعض الحرارة. ولعله يتصل بي او يمر علي عندما يصحو من النوم.

لم تمض ساعة حتى اتصل بي الدكتور مريـدن، وأكد كلام زوجته، فصدقت عذر رئيس الجمهورية، ولكنني تأكدت انه لا يعلم شيئا عما يجري. هذا حدس فقط. ولكنني تأكدت في ما بعد انه فعلا لم يشك في

شيء والدليل بعد ذلك كان نجاح الانقلاب.

نزلت الى مكتبي في جريدة «الف باء» بعد الظهر. وفي السادسة اتصل بي وزير الداخلية محسن البرازي قائلا ان موعدنا مع الرئيس في السابعة، وانه ينتظرني في مكتبه لنصعد معاً الى قصر الرئاسة في حي المهاجرين.

عند وصولنا الى القصر الجمهوري ادخلنا فورا الى مكتب الرئيس، فوجدته واقفا امام مكتبه ومعه وزيران من وزارة خالد العظم، وهما محمد العايش ومجد الدين الجابري.

ولدى دخولي المكتب صرخ بي القوتلي: «شوفي؟ ما هي هذه القضايا الهامة التي تريد ان تخبرني اياها في الرابعة صباحا؟»

ذهلت لجهل هذا المسؤول الكبير، وخاصة لعدم إلمامه بما يجري في الجيش. اي في اهم مؤسسة رسمية سورية.

غيرت الحديث فقلت له: والله يا فخامة الرئيس هناك تظاهرات معادية لك في حلب، وانا «حسب رأيي» وجدتها خطيرة.

فاسترسل القوتلي في حديثه المعروف المتعلق بالسياسة السورية الداخلية الضيقة، فقال: كل ذلك من فعل رشيد الكيخيا وناظم القدسي.

بدأ القوتلي يشتم كل سياسي حزب الشعب، وهم خصومه المحليون التقليديون، وانهم نظموا التظاهرات لانه رفض لهم تعيين بعض الشرطة.

استمعت مطرقا ومفكرا في الحدث الخطير الذي سيهز سورية والمنطقة العربية في ما لو وقع، وفي واقع السياسة المحلية التي يغرق القوتلي نفسه فيها.

وللاسف الشديد حدث ان محسن البرازي، الذكي جدا، لم يكن ساعتئذ ذلك الذكي فشارك القوتلي في شتم الكيخيا والقدسي واحمد قنبر وغيرهم.

تركت القصر الجمهوري متاكدا من ان الطريق يبدو معبدا وسهلا امام انقلاب حسني الزعيم. بعد سنوات من هذا التحذير الذي فشلت في ايصاله الى ذهن شكري القوتلي التقيت برئيس الجمهورية السابق في جنيف حيث كان يقيم بعد عهد اديب الشيشكلي، كان الواسطة الصحافي السوري سعيد التلاوي، كنت خجلا من هذه المقابلة لانني كنت مشاركاً في قلب حكمه، ولكنه استقبلني بكرم وابوة وقال: «نذير، آسف جداً لأنني لم اتفهم تحذيرك من انقلاب الزعيم، كان يمكن لتاريخ سورية والمنطقة العربية ان يتغير لو حدث هذا عندما جاء ابراهيم الحسيني الى منزلي وقال لي: «تفضل معنا، وفهمت منه ماذا كنت تريد قوله لي»».

منذ تلك السهرة في منزلي، اختفى حسني عن الناس، وعن الضباط الذين اتفقوا على مشاركته انقلابه، وما عداي انا الذي كنت اعرف اين هو.

وكنت على اتصال مستمر معه، كان من يستفسر عنه يقال له انه خرج لتوه. واذا سئل عنه في القنيطرة يقال انه يتفقد الخطوط الامامية. لم يعد يقابل سوى الضباط المشاركين في الانقلاب.

كان في القنيطرة يضع اللمسات الاخيرة لاول انقلاب عسكري في العالم العربي، واول انقلاب عسكري لم ترق خلاله قطرة دم.

وطلب مني حسني الزعيم ان اكون موجودا ليلة وقوع الانقلاب في فندق «اوريان بالاس» وان اهرع بعد رؤيتي الدبابات الاولى التي ستحتل مبنى الاذاعة السورية بالقرب من الفندق، في شارع جمال باشا، الى مديرية الشرطة التي ستكون الملتقى لكافة ضباط الوحدات التي ستزحف على دمشق لقلب نظام الحكم.

قبل الانقلاب: الرئيس شكري القوتلي ورئيس الحكومة جميل مردم بك (في بزة عسكرية) يتفقدان وحسني الزعيم مواقع الجبهة



وقال لي الزعيم انه في اي حال سيجري اتصالا بي وانا في فندق «اوريان بالاس» عن طريق زوجتي الموجودة في المنزل، او عن طريق زوجة الضابط عبد الاله رسلان، المشترك في الانقلاب والذي يسكن الطبقة التي تحت شقتي في عين الكرش.

وكان فندق «اوريان بالاس» افخم فنادق دمشق آنذاك. وكان مقراً دائماً لكبار الشخصيات السياسية السورية التي تأتي من خارج دمشق لمتابعة نشاطها السياسي.

جلست الى مائدة العشاء وحدي، ثم فجأة دعاني ناظم القدسي الى مائدته التي تبعد عني بضعة امتار، كان القدسي نائب حلب، وكان معه النائب عبد الرحمن العظم.

حدث خطير

ويبدو، او على الارجح كنت فعلا شارد البال والنظرات، مترقبا في اعماقي هذا الحدث الخطير الجديد علي وعلى سورية، كان القدسي يسألني عما بي باستمرار، فكنت انفي وجودي في حالة غير طبيعية،

وبعد العشاء، استأذن القدسي وصعد الى غرفته لينام.

ولاحظ عبد الرحمن العظم وهو الرجل الذكي، انني كنت اذهب الى الهاتف كل نصف ساعة، او ان هاتفا كان يصلني كل نصف ساعة. فقال لي العظم: هذه اتصالات غير طبيعية بالنسبة اليك. ماذا هناك؟ كان يشعر ان امرا ما سيحدث، لذلك بقي ساهرا معي ولم يذهب الى النوم.

يا الهي! وصلوا!

بدأت اسمع من بعيد هدير الدبابات في شوارع دمشق، وكان هذا الهدير يقترب اكثر فأكثر من الفندق باتجاه مبنى الاذاعة السورية المجاور.

خرجت الى مدخل الفندق المطل على محطة سكة حديد الحجاز، فشاهدت ارتال الدبابات تدخل الى معظم طرق دمشق الحيوية، مثل اشباح كبيرة تدخل في شرايين المدينة النائمة.



١٩٤٨: جانب من حفلة اقامها الزعيم لكبار الضباط قبل انقلابه حين كان قائداً للجيش. والى اقصى اليسار سامي الحناوي قائد الانقلاب الثاني، وأديب الشيشكلي (الثالث من اليمين) قائد الانقلاب الثالث.

اتصالاتي الهاتفية المتكررة من الفندق خلال الليل، كانت موجهة الى مكتبي في جريدة «الف باء» التي كان حسني الزعيم قد طلب مني ان اطبع «البلاغ رقم واحد» على مطابعها في اوائل ليل الانقلاب.

هيأ ابراهيم الحسيني قائد الشرطة العسكرية، لهذا الامر مسرحية ارسال عشرين عنصرا من الشرطة العسكرية يحتلون مبنى ومطابع الجريدة ويغلقون ابوابها في وجه الداخل والخارج للبحث عن قنبلة موهومة الى ان يتم طبع كميات «البلاغ رقم واحد» التي كانت ستوزع على الناس مع فجر الانقلاب والنظام الجديد.

قطعت كل الاتصالات السلكية واللاسلكية التي تربط دمشق بالمناطق السورية او بالعالم الخارجي. ونفذ ضباط الزعيم اوامره بدقة. فتم كل شيء كما رسم. وفي اقل من ساعة اقتحم منزل رئيس الجمهورية شكري القوتلي ومنزل رئيس الوزراء وزير الدفاع خالد العظم، واعتقلا. العظم طلب ان يحضر نظارته واسنانه الاصطناعية فرفض طلبه واخذوه كما كان بالبيجاما. ولم يشعر احد من الدمشقيين ما كان يجري تحت نوافذ منازلهم في تلك الليلة التاريخية، لقد دخل ابراهيم الحسيني الى منزل القوتلي وقال له: شكري بك تفضل معي. فسأله القوتلي: الى اين؟ فأجاب الحسيني: الى السجن بأمر القائد العام للجيش والقوات المسلحة. وطلب القوتلي ان يرتدي بدلته بدلا من البيجاما فسمح له.

ذهبت الى قيادة الشرطة العسكرية، فوجدت الزعيم وقد وصل لتوه، وكان معه اكرم الحوراني وخليل الكلاس. كان الزعيم يواصل اصدار اوامره وارشاداته، سواء مواجهة مع ضباطه او بواسطة الهاتف.

كان اكرم الحوراني منهمكاً في اعداد البلاغات والبيانات التي صدرت في ذلك اليوم لتذاع من الاذاعة السورية.

اودع الرئيسان القوتلي والعظم اولا في سجن المزة. لكن الزعيم حسني الزعيم، وقد استتب الامر له، طلب ان اقصد سجن المزة واقوم بنقل رئيس الجمهورية الى المستشفى العسكري معتبرا ان ايداعه السجن كان خطأ. فتوجهت بالفعل الى **مستشفى يوسف العظمة** في المزة واعطيت الاوامر اللازمة لنقل القوتلي اليه.



في القنيطرة: القوتلي امام حسني الزعيم والى اليسار مردم بك يتحدث مع نذير فنصه ووراء القوتلي محمد العايش.

• اين العلم؟

وبعدما وصل القوتلي الى باحة المستشفى الخارجية القى نظرة على المبنى وسأل: اين العلم؟ وكان يقصد العلم السوري الذي لم يشاهده مرفوعا على سارية مبنى هذا المستشفى العسكري لان القطع العسكرية اعتادت ان ترفع العلم في الصباح في احتفال وتنزله في المساء في احتفال، ولم يكن الوقت قد حان للاحتفال برفع العلم.

سرت شائعة بأن القوتلي والعظم نفيا الى تدمر. طبعا هذا لم يحدث بل تأكدت بانهما يعاملان معاملة حسنة، وباحترام كامل. وقد زودا بكل

ما يحتاجان اليه من غذاء ودواء وسُمح لهما بمطالعة الصحف والاستماع الى الراديو.

كانت اذاعة دمشق تذيع «المارشات» العسكرية، وتقطعها من ان الى آخر لبث البلاغات العسكرية المتلاحقة بعد «البلاغ رقم واحد» والبلاغ رقم ٢ باعدام كل من يحمل السلاح، والبلاغ رقم ٣ بمنع التجول اعتبارا من السادسة صباحا وحتى اشعار اخر.

ثم توالت نداءات الى الشعب، جاء في اولها: «اثبت الجيش انه لا يزال في سورية شعب عربي كبير، يأبى الخنوع والاستسلام. وان الانقلاب العسكري قد تم دون اراقة نقطة دم ودون اطلاق اي رصاصة».

ثم تلا ذلك البلاغ رقم ٤ محذراً اصحاب الافران وتجار المواد الغذائية من التلاعب بقوت الشعب. والبلاغ رقم ٥ حذر المغرضين والدساسين، ورفع نظام منع التجول اعتبارا من الساعة السابعة صباحا الى الساعة الثامنة مساء اليوم التالي للانقلاب. والبلاغ رقم ٦ اكد مرة اخرى ان قيادة الجيش العليا تسلمت مهام الحكم مؤقتا لتهيئة السبيل امام حكم ديموقراطي صحيح وانقاذ البلاد من الفوضى. والبلاغ رقم ٧ اوجب التحاق جميع موظفي الدولة باعمالهم اعتبارا من صباح ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٩. والبلاغ رقم ٨ رفع نظام منع التجول بين الساعة السابعة والعاشرة من مساء اليوم الثالث للانقلاب.

اتخذ حسني الزعيم من قصر مديرية الشرطة العامة في ساحة المرجة في دمشق مقرا مؤقتا له يشرف منه على تسيير الدولة التي اصبحت امورها في يده. وكانت اوامره تنفذ بدقة وهدوء.

ومع مطلع اليوم الجديد على دمشق وسورية طلب مني الزعيم ان استدعي كبار السياسيين السوريين ليأتوا للاجتماع اليه لمباحثتهم في

الموقف، وتشكيل حكومة دستورية ديموقراطية جديدة. وطلب مني ان ابدأ بناظم القدسي.

فجأة دخل الى مكتب الزعيم بعض الضباط وهم يسوقون امامهم النائب فيصل العسلي المعروف بشعره المنفوش الكبير، كانت مواجهة قصيرة بين هذا النائب الحاقد على حسني الزعيم دون مبرر ضروري وبين الزعيم الذي كان بالغ التأثر في الشهور الماضية من حملات هذا الرجل عليه. وفي هدوء تام قال الزعيم للعسلي: «شوف يا فيصل، انا كان في مقدوري ان اقتلك لحظة اعتقالك ولكني حرصت على ان اهينك امام جميع الذي تراهم»

ثم قال الزعيم لابراهيم الحسيني: «خذه الى السجن واحلق له هذا القفش» (العبارة الشعبية السورية عن الشعر الكبير البشع).

ذهبت الى فندق «اوريان بالاس» الذي لا يبعد كثيرا عن مديرية الشرطة وطرقت باب غرفة ناظم القدسي، فقلت له تفضل معي لان حسني الزعيم قام بانقلاب ويريد مقابلتك. لم يصدق القدسي، فدخلت وفتحت له نافذته فأطل وشاهد الدبابات في كل مكان. فقال: «لاحول ولا قوة الا بالله» •

السياسيون مترددون

• قبل ان يبدأ الزعيم حسني الزعيم باستقبال كبار رجالات السياسة في سورية، دخل علينا، وكنت مع الزعيم في مكتبه، محسن البرازي الذي كان وزيرا للداخلية في وزارة خالد العظم. كان البرازي بادي الارهاق ولا يرتدي ربطة العنق والسترة، كما كانت عادته الأنيقة، بل كان شبه باك، قميصه الأبيض مفتوح مما يبدو انه ترك منزله على عجل.

قال البرازي للزعيم: «ارجوك يا حسني ان تأمر باعتقالي مع من

اعتقلتهم، لأن صداقتي بك ستجعل الناس يظنون انني اشتركت معك في هذا الانقلاب ووضعت زملائي واصدقائي في السجن، فأرجوك اعتقلني الآن ».

طبعا، لم يعتقله الزعيم، بل طيب خاطره وأعاده إلى منزله، لكن تخوف محسن البرازي كان في محله، اذ تربطه بالزعيم صداقة متينة، وقد أصبح في ما بعد آخر رئيس حكومة في عهده وقضى معه برصاص انقلاب سامي الحناوي. كان يقال، وان لم يكن هذا سببا كافيا لصداقتهما المتينة، ان كون البرازي ووالدة الزعيم من أصل كردي هو اساس صداقتهما.

كان في طليعة من استقبلهم حسني الزعيم في الصباح الاول للانقلاب: ناظم القدسي، والشيخ معروف الدواليبي وهما من زعماء « حزب الشعب » المعارض للقوتلي، والأمير عادل ارسلان، والدكتور سامي كبارة صاحب جريدة « النضال » المعارضة للرئيس القوتلي، والدكتور عبد الوهاب حومد وغيرهم.

ناظم القدسي وجاهيا، وزميله رشدي كيخيا الذي اتصل به حسني الزعيم هاتفيا في حلب، لم يقبلا بالتعاون مع الانقلابيين، معتبرين ان التعاون مع العسكريين امر عواقبه وخيمة على مستقبل الوطن. اما الدواليبي فقبل بالتعاون مع الزعيم، ومن هنا حدث ذلك الانشقاق في « حزب الشعب ». وهذا التعاون اتخذ شكل التشاور المتبادل في اطار من الاحترام بين الرجلين.

كان همّ الزعيم الوصول الى صيغة لتشكيل حكومة دستورية ديمقراطية جديدة، من مدرسة الحكومات السابقة ذاتها، يدعمها هو بالقوات المسلحة فتكون قوتها التنفيذية افعل واسرع. وفي هذه الاثناء. عمت شوارع دمشق والمدن السورية الرئيسية تظاهرات كبرى تأييدا

للانقلاب واستنكارا للنظام السابق. كانت هذه التظاهرات عفوية، اذ لم تكن لدى اي جبهة في سورية آنذاك القدرة على افتعال تظاهرات في تلك الضخامة. وفي اي حال، لا تعني هذه التظاهرات شيئا، اذ قد يجوز أن الذين شاركوا فيها هم انفسهم الذين شاركوا في التظاهرات التي هاجمت الزعيم بعد سقوطه وإعدامه على يد سامي الحناوي.

سمع حسني الزعيم، ان احدى هذه التظاهرات التأييدية له يحمل رجالها صورا لشكري القوتلي فوقها احذية، فأمر فورا بوقف هذه التصرفات التي تسيء الى سورية وقال: «برغم كل شيء، فان شكري القوتلي زعيم وطني ولا أقبل ان يهان على هذه الصورة».

البرقيات بالالاف كانت تصل إلينا وكلها تؤيد الانقلاب وقائده، ومعظم موقعيها كانوا في الأمس فقط من المتحمسين لشكري القوتلي وخالد العظم. وكذلك تفتقت قرائح الشعراء وطغت موجة جديدة من المداحين.

قبيل الظهر، قام الزعيم بزيارة فارس الخوري رئيس مجلس النواب في منزله، وأطلعه على أغراض الانقلاب، وما يهدف اليه من اقامة حكم ديموقراطي صحيح. وفي الوقت نفسه كان عدد من السياسيين مجتمعين في فندق «اوريان بالاس».

الانقلاب يرتجف

للتداول في الوضع الراهن.

انا أعتقد، برغم نزعتي الطبيعية نحو الديموقراطية والجمهورية، ان حسني الزعيم كان صادقا في ما يقوله حول الديموقراطبة ورغبته في تشكيل حكومة دستورية، برغم ايماني ان الزعيم لم يكن يملك الخامة الضرورية ليصبح رئيس دولة في المفهوم العصري للدولة. كانت تحركاته عمومية شمولية، غير واضحة التفاصيل والملامح، لكن الذي حدث في

ما بعد دفعته إليه الأحداث دفعا. وهو دون اي شك مخلص في نواياه لسورية ولشعبها.

الزعيم مرهق

للمرة الأولى تشهد دمشق هذا العدد الكبير من الصحافيين العرب والأجانب يفدون إليها لتغطية حدث جديد، هو انقلاب الزعيم حسني الزعيم. وقد دعا قائد الانقلاب الى مؤتمر صحفي ظهر اليوم الأول للانقلاب. كانت تبدو على الزعيم علامات الاعياء، والارهاق من سهر دام ليلا كاملا دون نوم. كانت يداه ترتجفان قليلا وهو يواجه مراسلي الصحف ووكالات الانباء العربية والاجنبية، ولعل داء السكري اضاف الى ارهاقه ارهاقا واضطرابا.

تحدث الزعيم عن أسباب ودوافع الانقلاب، فقال ان سببه الأول هو التهجم الظالم على الجيش من داخل وخارج مجلس النواب، ثم ما لمسه من سخط الشعب على الوضع القائم، وبسبب اعتقال تعسفي لضباط أبرياء اتهموا بالسرقة والرشوة. اما الضابط فؤاد مردم بك، الذي اتهم بتسليم باخرة تحمل شحنة من الاسلحة السورية إلى الاعداء، فهذا امر له شأن آخر وسيقدم إلى المحكمة العسكرية.

ورد الزعيم على اسئلة حول اعتقالات رافقت الانقلاب فقال: «لقد اوقفنا بعض الاشخاص بصورة مؤقتة ولأسباب ادارية، ونحن الآن ندرس الوضع مع الاستاذ فارس الخوري لتشكيل حكومة دستورية». وأكد ان الانقلاب حركة محلية داخلية ولا علاقة لأي طرف اجنبي فيها.

وقال الزعيم في ختام مؤتمره الصحفي الأول: «ان الوضع الحالي هو شكل مؤقت ونحن لم نتوخ القيام بانقلاب ديكتاتوري».

بعد الظهر عرض علي حسني الزعيم منصب مدير عام الشرطة

والأمن، فرفضت فورا لجهلي كل ما يتعلق بتنظيم الشرطة وبتدابير الأمن، لكن الزعيم اصر على ان اصبح رسميا سكرتيره الخاص ليتمكن من تكليفي بمهام سياسية وديبلوماسية خاصة من حيث الأهمية.

كنت آنذاك في الثلاثين من عمري، وتعلمت السياسية في افضل مدارسها: الصحافة.

كانت اللعبة الدستورية لا تزال في أبعادها التقليدية، فقام فارس الخوري بزيارة الرئيس القوتلي في معتقله في المستشفى العسكري، وحضه على تقديم الاستقالة لحل الأزمة التي خلقها الوضع الانقلابي الجديد بصورة دستورية لائقة، خاصة وان مجلس النواب كان في امكانه عقد جلسة فورية وانتخاب خلف له كما ينص الدستور. لكن الرئيس القوتلي رفض الاستقالة.

طبعا، كان الانقلاب السوري الخبر الأول في صحف العالم العربي والخارجي واذاعاته. وقد سمعنا من احدى برقيات «وكالة الصحافة الفرنسية» ان الاردن اغلق حدوده مع سورية وقطع الاتصالات الهاتفية معها. وطبقا لنظام منع التجول آوى السوريون إلى منازلهم باكرا في الساعة الثامنة مساء، وأمضوا ليلة هادئة. وفي الصباح عاد الناس إلى اعمالهم كالمعتاد، واستعادت دمشق مظهرها اليومي، ولم «يحدث ما يعكر صفو الأمن» كما تقول عادة البيانات الرسميه.

اعتبارا من صباح اليوم الثاني للانقلاب بدأ المذيع في الاذاعة السورية يذكر في نهاية كل أمر او بلاغ عسكري اسم صاحب الانقلاب. فهم الناس، خاصة أهل السياسة في سورية، ان مخرجا دستوريا تقليديا لم يعد ممكنا وان الانقلاب بات في مسيرته الطبيعية كأي انقلاب عسكري آخر.

اول هذه البلاغات، التي صدرت في ذلك اليوم، بلاغ سياسي اعلن تمسك صاحب الانقلاب الزعيم حسني الزعيم «بحقوق الانسان وسعيه

لبث الروح الديموقراطية بين ابناء الشعب، لأن الشعب كان يشكو من استهتار الفئة الحاكمة آنذاك بهذه المفاهيم المثلى». وأكد صاحب الانقلاب تمسكه بالتعهدات الدولية وبميثاق الأمم المتحدة. قد يكون الذين يعرفون الزعيم سألوا انفسهم: من أين أتى الزعيم بهذه الحكمة في القول والوعد؟ لا لأن الزعيم هو ضد حقوق الانسان او ضد بث الروح الديموقراطية، او انه مع خرق التعهدات الدولية او ميثاق الأمم المتحدة، بل لأن حسني الزعيم لا يفقه شيئا من كل هذه المفردات. فهو شخص مثقف عسكريا فقط وخارج العسكرية لا يعرف شيئا.

• عقل الانقلاب

كان أكرم الحوراني هو الذي يخط له هذه البيانات ويضمنها ما يجول في رأسه هو، لا ما يجول في رأس الزعيم.

استقبل الزعيم، في ذلك اليوم، وفدا صحفيا لبنانيا، فصرح لأعضائه بأنه مصمم على تنفيذ برنامجه الاصلاحي، وانه سيعمل جاهدا في سبيل تأليف حكومة وطنية، ثم حمل على البرلمان ووصفه بأنه مجلس عشائري لا انسجام فيه ولا تفاهم، لذلك فهو يصر على اقامة نظام برلماني ديموقراطي صحيح.

قال الزعيم لأعضاء الوفد اللبناني ايضا: «سيكون الحكم في سورية مثاليا تقتدي به مختلف الأقطار العربية» ووعد بافساح المجال لانتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور جديد للبلاد «يتضمن كل مبادىء التقدم والرقي والازدهار».

قال الناس في سورية في ذلك اليوم: الحمد الله جاءنا اخيرا بطل الدستور والحريات جاءنا الزعيم محطم الأصنام والزعامات.

تتابعت الأحداث سريعا بعدئذ، ووصل الى دمشق موفدون من مصر والاردن والعراق لاستطلاع حقيقة الموقف والحصول على معلومات

كافية لتحديد العلاقات الجديدة مع سورية، وواصلت اذاعات وصحف العالم الحديث عن الانقلاب العسكري السوري على انه ظاهرة جديدة في العالم العربي قد يسفر عن تطورات خطيرة في الشرق الأوسط.

في هذه الأثناء كان فارس الخوري، رئيس مجلس النواب، يواصل مشاوراته مع النواب والوزراء السابقين للخروج من هذا المأزق دستوريا في حل شرعي يرضى عنه الجميع، ففشل في مسعاه بسبب تنافس النواب وخلافاتهم القديمة، وبسبب تعدد آراء الاحزاب في الحل الواجب اتخاذه.

كان الزعيم على عجلة من أمره، بعدما استتب له الأمر، وقد يكون اول من فوجىء بالسهولة التي نجح فيها انقلابه. فقرر حلّ البرلمان. وأوفد مرافقه الضابط رياض الكيلاني، إلى فارس الخوري الذي كان يلازم الفراش اثر الجهد الكبير الذي بذله لاحلال الوفاق بين الساسة المتنافرين وبين الجيش وقائده، فسلم الضابط المغلف الى فارس الخوري وهو في فراشه وطلب إليه ان يفضه بنفسه. فاذا بالرسالة تتضمن قرار حل مجلس النواب. على الأثر تفرق النواب وكأنه لم تعد لهم مطالب او آراء، وذهب كل منهم إلى مدينته او قريته. لقد خبا بريقهم جميعا فجأة مع تغير الظروف.

وبانتهاء هذا اليوم الثاني على الانقلاب، أصدر الزعيم امرا عسكرياً «رقم واحد» نصب نفسه رئيساً للدولة، على ان يتمتع بكافة الصلاحيات الممنوحة لرئيس الدولة. وصدرت بعد هذا الامر اوامر ومراسيم ذات صبغة ادارية.

وسارت التظاهرات في الشوارع تأييدا لبطل الانقلاب، ودق على الطبول ونفخ في الأبواق وقام الطلاب والجنود وشبان الأحياء بالرقص فرحا، في الشوارع والساحات العامة.

وكما تقول الروايات: ونادى المنادي، ألا زغردي الآن يا شام.

جنون العظمة لدى شخص بسيط المنشأ، لم يتأخر عن الظهور عندما لفتت نظر العالم كله الصور الأولى للزعيم حسني الزعيم في الصحف والمجلات غداة الانقلاب، وهو يضع «المونوكل»، تلك العدسة الواحدة التي توضع على احدى العينين. وفي هذا المظهر الجديد، حتى عليه، يبدو مقطبا شديد العبوس، مقلدا بذلك الجنرالات البروسيين.

قلت للزعيم في ذلك اليوم ولمناسبة ظهوره في «المونوكل»: انت ضابط عربي سوري تقول دائما انك متواضع ومن الدراويش، فما معنى هذا المظهر والتشبه بضباط الارستوقراطية العسكرية الجرمانية؟ ان شعبنا يحب في زعمائه التواضع، والآن وقد اصبحت رئيسا للدولة لم يعد هناك معنى لهذا المظهر.

عجبت كيف قبل الزعيم نصيحتي بهذه السرعة. وفي اليوم التالي اختفت صور الزعيم في «المونوكل» وعاد إلى الظهور امام المصورين للمرة الأولى بوضعه الطبيعي مع ابتسامة بسيطة.

• في المسجد الاموي

اليوم الثالث للانقلاب كان يوم جمعة، فتوافد المصلون كعادتهم إلى المسجد الأموي الكبير. وقد ألقى خطبة الجمعة الشيخ بشير الخطيب فأشار الى الانقلاب الذي وصفه بانه ازال عهد الفوضى والرشاوي والمحسوبيات وأتى بعهد جديد يستند إلى قوة الحق ومطالب الأمة. وقال الخطيب: «ان الله قيض للبلاد بشخص حسني الزعيم، منقذا، انقذ الجيش من الانهيار، وخلص البلاد من ثورات داخلية». ثم دعا له بطول البقاء. وكان خطباء اخرون نهجوا نهج خطيب المسجد الاموي وطالبوا الزعيم بتأليف محاكم عسكرية لمحاكمة من سموهم «الخونة».

تظاهرات التأييد لم تنقطع، وآلاف برقيات التأييد كانت لا تزال

ترد على قائد الانقلاب. وقد دعا الزعيم إلى مؤتمر صحافي آخر اعلن فيه حل البرلمان واعطاء مجلس الامناء صلاحية مجلس الوزراء، وكرر من جديد احترام العهد الجديد للمعاهدات والمواثيق الدولية، كما اعلن رفع الرقابة التي فرضت مؤقتا على الصحف، وقال انه يترك الصحف حرة، ولكنه حذر من كل دس على الجيش، واعلن تخفيف نظام منع التجول.

كنت بحكم علاقاتي مع معظم سياسيي سورية، أعمل ما في وسعي لخلق «لوبي» بالمعنى السياسي المعاصر لهذه الكلمة، مناصر للزعيم على الأكثر او محايد على الأقل . وكان ذلك مبادرة مني حرصا على كراهيتي المطلقة للعنف بأي شكل من اشكاله. فحرصت على ابقاء جريدتي «الف باء» محايدة، تفتح اعمدة صفحاتها لكل الآراء الناقدة او المؤيدة حتى تبقى كرامات الناس مصونة.

فارس الخوري، رحمه الله، قام هو الآخر بمسعى مشابه لدى كافة الاطراف السياسية انطلاقا مما قاله لشقيقي الأكبر بشير الذي زاره في منزله واصفا الوضع الجديد: «لقد اندلعت النيران في البيت والواجب الوطني والعقل والضمير تفرض علينا التعاون لاخماد النيران، او حصرها قبل ان يشتد لهيبها فتأتي على الأخضر واليابس».

وللحق والتاريخ، لا يمكن ان ينكر احد ان السبب الآخر لبقاء انقلاب حسني الزعيم ابيض من دون عنف او دماء، هو ان الزعيم نفسه كما عرفته أنا وعرفه آخرون على الرغم من تجهمه. وعبوسه ومحاولته الظهور بمظهر العسكري الصارم صاحب القبضة الفولاذية، كان طيب القلب لا يميل بطبعه الى سفك الدماء، لكنه بلا ريب كان يمكن ان ينقلب إلى وحش كاسر لو احاط به رجال من ذوي الضمائر الميتة والنفوس الشريرة فحرضوه على القتل والسحل وزينوا له الموقف على غير حقيقته، واستغلوا ما فيه من مرض الخيلاء وداء العظمة ليخلقوا

منه ديكتاتوريا احمر يغرق البلاد في حمامات الدم. وللاسف، ان الدم الوحيد الذي اريق في هذا الانقلاب الأبيض هو دم صاحبه الزعيم حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي رحمها الله.

عندما غادرت مكتب جريدتي «الف باء» للمرة الأخيرة لالتحق بعملي الجديد كسكرتير وأمين خاص للزعيم، قلت لشقيقي بشير الذي تسلم مكاني في الجريدة ان لا يذكر شكري القوتلي بأي سوء. فهو في نظري ونظر الكثير من السوريين والعرب رجل وطني ناضل وضحى من اجل استقلال الوطن. وكان حسني الزعيم يسأل مرتين على الأقل كل يوم عن صحة الرئيس القوتلي وما اذا كان بحاجة إلى اي شيء حتى يلبي طلبه.

كنت دائما اكرر للزعيم في ما بعد ضرورة الحفاظ على كرامة القوتلي رغم ما كان يصل الى الزعيم من تحريض ضده. وعندما سمح الزعيم للقوتلي بمغادرة سورية كنت على رأس الوفد الرسمي الذي كان في المطار لوداعه رسميا.

الزعيم لدى أحدى جولاته في الجبهة السورية - الاسرائيلية يتحدث مع نصوح بابيل صاحب جريدة الايام، ووديع صيداوي صاحب جريدة النصر ونذير فنصه رئيس تحرير الف باء



• عهد المباحث

وعندما دارت الأيام دورتها، لم ينس القوتلي لي هذه البادرة، فلما عاد إلى تسلم منصب رئاسة الجمهورية، بعد سقوط حكم اديب الشيشكلي، كان عبد الحميد السراج يحاول ادارة سياسة البلاد من وراء الستار، وبدأ بمضايقة الصحافيين وأنا منهم، اذ عدت إلى اصدار جريدة «الأنباء». فقصدت القصر الجمهوري وشكوت إلى الرئيس القوتلي مضايقات رجال المباحث التابعين للسراج، فقال لي، رحمه الله: انا لا أرضى في عهدي اي تجاوز او اعتداء على حرية الصحافة والصحافيين. انا لا أقبل الا بالقانون حكما يسود الجميع، فان كان للسراج ما يدعيه عليك فعليه تحريك دعوى ضدك بمقتضى ما له من صلاحيات.

وأمر القوتلي على الفور مرافقه العسكري الملازم تحسين قدري بالتوجه معي الى «الانباء» والتحقق مما اقول. وهكذا كان، وكف السراج عن مضايقاته إلى حين.

في ٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ صدر مرسوم اشتراعي رقم واحد تولى بموجبه الزعيم السلطتين التشريعية والتنفيذية، وولى الأمناء العامين، كل حسب اختصاصه، شؤون الوزارات التابعة لهم.

وبناء على هذا المرسوم صدر قرار يخول الزعيم حق الغاء امتياز كل جريدة يومية او مجلة او دورية يرى هو في وجودها ما يضر المصلحة العامة، وتوالى صدور المراسيم التشريعية على هذا النمط، وأجريت بموجبها تنظيمات جديدة وتنقلات وتسريحات وتعيينات بين الموظفين.

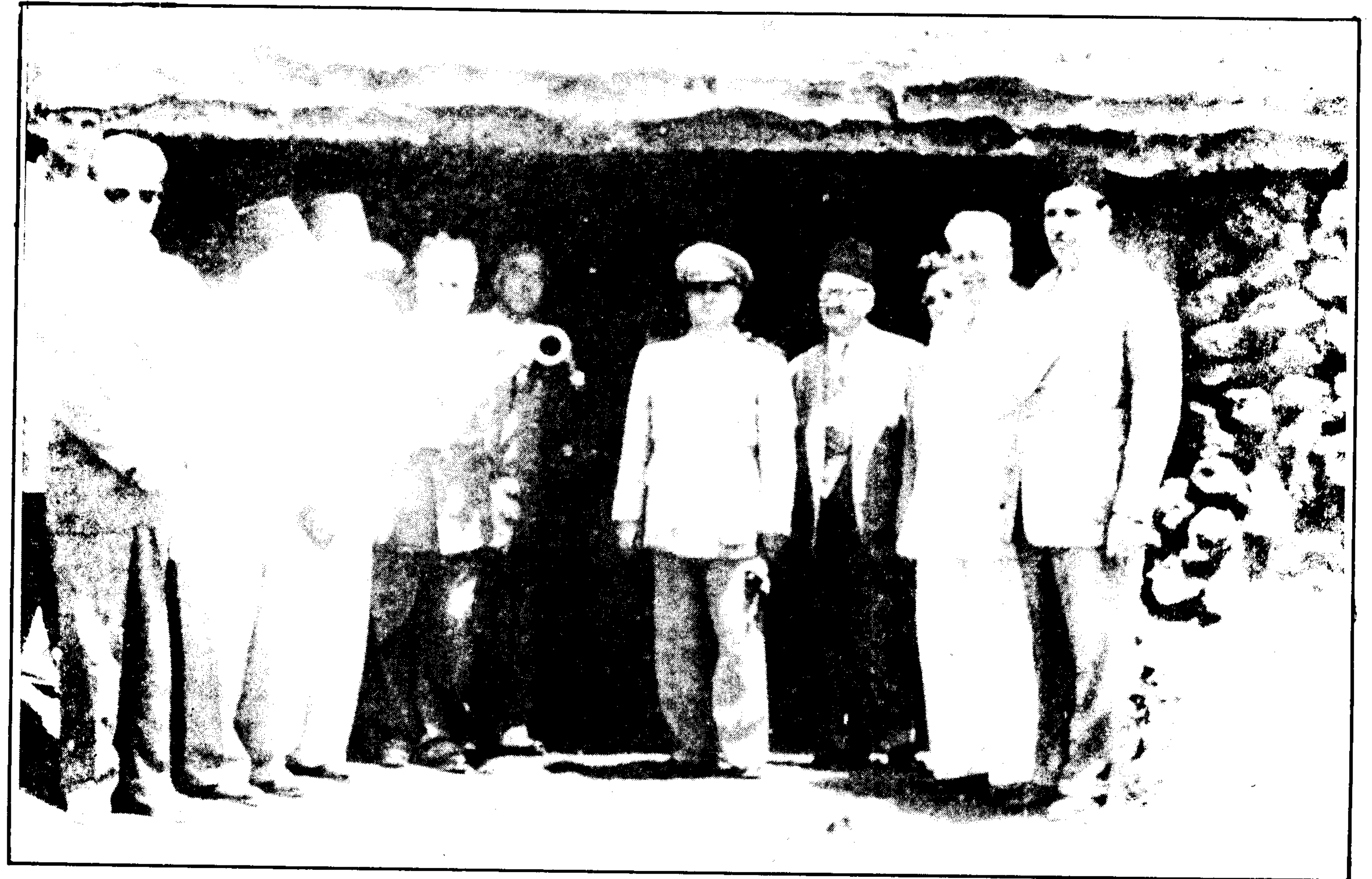
في اليوم الخامس للانقلاب، وجه حسني الزعيم اول خطاب إلى الشعب نقل من الاذاعة بصوت المذيع. وبعدما شكر الشعب على تأييده

وعده باقامة نظام تقدمي جديد يستمد اصوله من رغبات هذا الشعب وآماله. ووعد كذلك بتأليف لجان للتحقيق في مساوىء العهد السابق، وقال انه سيعمل على تحقيق نظام العدالة الاجتماعية في اعادة النظر بتوزيع الأراضي ووضع نظام لتحديد الثروات الضخمة والعمل على رفع مستوى العمال والقضاء على البطالة. وفي الوقت نفسه هدد بضرب «المجرمين الشيوعيين». ولم يكن الزعيم خطيبا مفوها بل كان يتلعثم اذا خطب، وثقافته التركية والفرنسية زادت في لغته «المكسرة». لذلك كان حتى لو خطب في حفل عسكري فان الاذاعة تعيد نص الخطاب بصوت احد مذيعيها.

لم يذكر الزعيم شيئاً عن اعادة الحياة الدستورية إلى البلاد او عن اقامة ديموقراطية صحيحة. وقد جرت اعتقالات في صفوف الشيوعيين بعد ظهور منشورات شيوعية تدعو إلى عودة الجيش الى ثكناته وافساح المجال امام الشعب لبناء حياة نيابية سليمة واطلاق الحريات العامة. ووصفت احدى هذه المنشورات الزعيم بانه «بهلوان» من الطراز الأول، او عميل او مخدوع «وقالت ان الشعب هو الذي يبدل الأوضاع وليس الجيش وحده».

في هذا اليوم اصدر الزعيم رسميا المرسوم بتعييني اميناً خاصاً له، وأصدر مرسوما آخر يقضي بتعيين الدكتور اسعد طلس، مستشارا لوزارة الدفاع الوطني بالاضافة إلى وظيفته الاصلية في وزارة الخارجية كمدير للشؤون الادارية.

صداقتي باسعد طلس قديمة، ولكن المفارقة انني عديل حسني الزعيم، كان لي الدور الذي كان خلال فترة حكمه القصيرة. وأسعد طلس هو عديل سامي الحناوي صاحب الانقلاب العسكري السوري الثاني، وكان لأسعد دور هام في ذلك الانقلاب الدامي.



ثلاثة اشهر بعد الانقلاب: الزعيم مع وفد صحفي في الجبهة ويبدو من اليمين نصوح بابيل، كامل اشرفية، نجيب الريس، محي الدين نصولي، الزعيم، عبد الله المشنوق، سعيد فريحة ووراءه العقيد سامي الحناوي، نذير فنصه، وديع صيداوي، حيدر الايوبي وأحد الضباط



نوري السعيد فجأة في دمشق

وميشال عفلق في المزّة

• في اليوم العاشر للانقلاب. نجحت الوساطات في حمل الرئيس شكري القوتلي والسيد خالد العظم على تقديم استقالتيهما، الأول من رئاسة الجمهورية والثاني من رئاسة الوزارة، ونشرت الصحف السورية نص الاستقالتين بـ «الزنكوغراف». وعلقت جريدة «التايمس» اللندنية على احداث دمشق فقالت في مقال كبير ان «حسني الزعيم بدأ في خطته لتنفيذ آرائه التقدمية، وانه انهى حكم العائلات الغنية في سورية وقضى على الفساد في الدولة».

وصدر بعد فترة قصيرة مرسوم بتأليف لجنة قوامها السادة: القاضي عبد اللطيف الطيب، المقدم عزيز عبد الكريم، اكرم الحوراني ورزق الله الانطاكي، للتحقيق في مساوىء العهد البائد، من استغلال نفوذ او إثراء غير مشروع إلى غير ذلك من التهم. ولكن هذه اللجنة لم تتوصل الى اسناد اي من هذه التهم الى الرئيس شكري القوتلي، وبذلك طويت اعمالها.

استتب الامر للزعيم نهائيا، ولكن دون ان يصله اي اعتراف بحكمه الجديد من اي دولة، وخاصة من اي دولة عربية. وكانت سورية في تلك الفترة ما تزال حلما يراود الهاشميين، سواء في العراق في شخص ولي العهد الأمير عبد الاله، او في الاردن في شخص الملك عبد الله. فالأول كان يدعو إلى مشروعه «الهلال الخصيب» والثاني يدعو الى

مشروعه «سورية الكبرى». ولكن الهدف واحد في اي من المشروعين: عرش سورية. وكان قادة سورية، كما هو معروف، ضد هذين المشروعين منذ ان حصلت على استقلالها.

منذ الساعات الاولى لانقلاب حسني الزعيم لزمت الحكومتان العراقية والاردنية جانب الصمت الكامل، ولم تعلق اي عاصمة على ما حدث في دمشق بحرف واحد. وبعد اسبوع من نجاح الانقلاب. اتصل الوزير العراقي المفوض في دمشق، اذ كان معظم التمثيل الديبلوماسي العربي والأجنبي في دمشق في مستوى مفوضية، بالزعيم وقال له ان نوري السعيد يرغب في زيارة دمشق للتهنئة بالعهد الجديد، طبعا رحب الزعيم بهذه الفكرة.

وفي ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ هبطت طائرة عسكرية عراقية خاصة في مطار دمشق ونزل منها نوري السعيد وهو في بزة الجنرال العسكرية، واجتمع مطولا بالزعيم، ولم يعلم ساعتئذ اي كان ما دار بالضبط من أحاديث بين الرجلين، كل ما أذيع عن هذا الاجتماع بيان مقتضب صدر عن الجانب العراقي جاء فيه: «ان الحكومة العراقية تغتنم فرصة الانقلاب السوري لتطمين سورية إلى ان العراق يعتبر أي اعتداء صهيوني على حدودها اعتداء عليه بالذات، وان الجيش العراقي مستعد لتلبية نداء الاخوة في كل ساعة تدعو الضرورة إلى ذلك».

بعد سفر نوري السعيد، سألت الزعيم عن محتوى اجتماعه معه فقال ان الأمر كان خلافا لما ورد في البيان العراقي، فلم تكن قضية فلسطين الا مسألة ثانوية في المباحثات، وان نوري السعيد عرض اقامة وحدة سورية - عراقية فورية. نصحت الزعيم، ومن بعدي فعل مثلي عدد من الذين كانوا يترددون عليه مثل محسن البرازي، برفض الفكرة وبضرورة التزام الحكمة في عدم الدخول في اي نزاع بين دولتين عربيتين وعدم

القبول بفكرة المشاركة في اقامة محور عربي ضد مجموعة عربية اخرى، فسورية والسوريون يدعون دائما إلى الوحدة العربية، لكن المشروع العراقي له اهداف غير عربية.

كان هناك جفاء بين الأمير عبد الاله ونوري السعيد من جهة، والملك فاروق من جهة ثانية. وكان ضروريا بعد زيارة نوري السعيد إلى دمشق ان يجري اتصال مع الملك فاروق لتدارك اي سوء تفاهم محتمل، فسافرت إلى القاهرة في طائرة خاصة بناء على طلب من الزعيم حسني الزعيم. على سلم الطائرة في مطار القاهرة كان بانتظاري السيد كريم ثابت رئيس تحرير «المقطم» والمستشار الخاص للملك فاروق، فاصطحبني فورا إلى منزله في الزمالك وقال لي: «سنتناول الغداء في منزلي وسيتغدى معنا الملك».

ما ان دخلنا منزل كريم ثابت حتى رن جرس التلفون، فكان القصر الملكي يخبر ثابت ان الملك فاروق قد غادر القصر باتجاه منزله، اي منزل كريم ثابت. بعد دقائق، دخل الملك فاروق وجرت أحاديث عامة عن الاوضاع في سورية والعالم العربي، ثم تعرضت إلى موضوع اعتراف مصر بالحكم الجديد في سورية، فقال لي الملك فاروق: «هل يمكنك ان تجعل الزعيم يزور مصر؟»، اجبت الملك بالايجاب، على ان تتم الزيارة في اليوم التالي لاجتماعنا هذا، او في اليوم الذي يلي على الأكثر. وقد نصحني الملك فاروق بزيارة الملك عبد العزيز آل سعود التي كانت اصلا في برنامج رحلاتي للدعوة إلى الاعتراف بحكم الزعيم.

عدت إلى دمشق في اليوم نفسه وتوجهت فورا لمقابلة الزعيم في منزله، واخبرته بما جرى من أحاديث مع الملك فاروق. فرحب الزعيم بهذه الزيارة ودعا بعض زملائه الضباط، مثل سامي الحناوي وابراهيم الحسيني فكانوا من الموافقين على قيامه بهذه الزيارة، خاصة ان الملك فاروق كان في تلك الفترة شخصية متألقة جدا في عالم السياسة العربية.

• نصف سرية

رغب الزعيم في جعل زيارته إلى القاهرة سرية، على الأقل في مرحلتها الأولى. وعندما وصلنا إلى مطار القاهرة كان في استقبالنا كبير ياوران الملك فاروق وكريم ثابت ورسميون آخرون. توقفت طائرتنا في مكان بعيد في المطار. واستقل الزعيم ومن معه طائرة صغيرة خاصة اقلتنا إلى انشاص حيث كان الملك بانتظارنا في مطارها.



الزعيم يستقبل كبير ياوران الملك فاروق

كان الوقت باكراً، وكان الزعيم والملك فاروق في لباسها العسكري، فتصافحا بحرارة رسمية، اذ يبدو ان التقبيل لم يكن شائعا آنذاك. دخلنا اولا لتناول بعض الطعام الخفيف، ثم عقد اول اجتماع بين الزعيم والملك فاروق كنت وحيدا مع الزعيم خلاله، كما كان كريم ثابت وحيدا إلى جانب الملك فاروق. استمر الاجتماع اربع ساعات شرح الزعيم في أولها الظروف التي دفعته إلى القيام بهذا الانقلاب . وتحدث الملك فاروق عن الصورة غير المنظمة التي دخلت فيها الجيوش العربية معركة فلسطين.

وتم الاتفاق بين الزعيم والملك على التعاون الثنائي والتنسيق المستمر، وعلى إصدار بيان مشترك عن نتيجة هذه الزيارة يذاع مساء ذلك اليوم في كل من القاهرة ودمشق ويتضمن الاعتراف المصري بحكم الزعيم حسني الزعيم. وكان نصرا كبيرا للزعيم. وعدنا إلى دمشق دون ان يدري من فيها ان الزعيم كان في مصر، إلى ان صدر البيان المشترك. وقد نشرت الصحف المصرية في اليوم التالي صفحات كاملة عن الزياة وصور اللقاء مع الملك فاروق. الصحف السورية نشرت البيان المشترك دون الصور، لأن كريم ثابت نسي ان يعطينا نسخا منها عندما غادرنا القاهرة.



الملك فاروق
وحسني الزعيم

في اليوم التالي لزيارة القاهرة، سافرت إلى السعودية عن طريق القاهرة في طائرة شحن كانت الوحيدة المتوافرة آنذاك. كانت مدينة الرياض امتدادا رمليا واسعا يتوسطه منزل الملك عبد العزيز وحوله بعض المنازل لبعض مستشاري الملك السعودي مثل مدحت شيخ الأرض، الشيخ يوسف ياسين وفؤاد حمزة.

استقبلني الملك عبد العزيز، رحمه الله، بحرارة وسأل عن أوضاع سورية، سلمت العاهل السعودي رسالة شخصية من حسني الزعيم، فسر بمحتواها لأنها كانت تتضمن مجاملات ذات معنى سياسي، منها ان انقلاب الزعيم ليس موجها ضد احد، وان الزعيم متمسك بالأخوة العربية مع السعودية.

شرحت للملك عبد العزيز مطولا الظروف التي ادت إلى الانقلاب، وانتهى الاجتماع بقول الملك ان لديه رجاء واحدا يجب ان يصل إلى الزعيم حسني الزعيم وهو الحفاظ على حياة وكرامة شكري القوتلي. طمأنت الملك عبد العزيز بأن الانقلاب كان سلميا، وان الزعيم بطبيعته لا يميل إلى سفك الدم والعنف، وان القوتلي في النهاية زعيم وطني كرامته من كرامة الوطن.

أصدر حزب البعث العربي بيانا أيد فيه انقلاب حسني الزعيم، فجاء في هذا البيان انه «لا يقنع من الانقلاب بان يكون نهاية عهد اسود فحسب، بل يجد فيه نقطة انطلاق جوهرية نحو الحياة المنتجة القوية. ومن الواضح ان ضعف العهد السابق وانهياره كانا نتيجة السياسة التي قامت على خنق حريات الشعب وتزييف ارادته، وتسخير جهوده وموارد بلاده لمصلحة الحكام، وطبقتهم الجشعة المستثمرة، فلا بد اذا من قلب هذه السياسة من أساسها حتى يقدر للانقلاب ان يحيا ويدوم، ولذلك، ولكي يدعم الشعب انقلابه. يجب ان يكون حرا في التعبير عن ارادته ورغباته وان يشارك عمليا في رسم منهاج العهد

الجديد». وفي ختام البيان طالب الحزب بتطهير جهاز الدولة من عناصر العهد البائد وتأمين الحريات العامة واجراء انتخابات حرة. لكن الزعيم لم يأخذ بمطلب واحد من مطالب حزب البعث، بل زج زعيمه ميشال عفلق في سجن المزّة. والكل يعلم قصة الرسالة التي استكتبوه اياها فيما فوهة المسدس موجهة الى رأسه. على اي حال. كانت رسالة مضحكة ومنفرة، لا من كاتبها الذي خطها والمسدس في صدغه، بل ممن انتزعها منه ونشرها.

ورغبة من حسني الزعيم في إشاعة مناخ من الهيبة يحيط بحكمه ويجعل الناس تتنبه للقانون والتدابير الجديدة التي يتخذها. لم يجد امامه افضل من تنفيذ حكم الاعدام في ١٤ من مجرمي الحق العام والمحكوم عليهم بالاعدام الذين كان القوتلي، لرقة إحساسه مترددا في التوقيع على تنفيذ هذه العقوبة القصوى. من هؤلاء المجرمين ثلاثة من العتاة احدهم قتل امه والثاني قتل زوجته وطفله، والثالث ارتكب جرائم قتل عدة. وللصدفة، كانت احكام الاعدام صادرة في محافظات عدة ولذلك كانت لمعظم المحافظات حصتها من التخويف لأن أهلها شاهدوا عملية التنفيذ في محافظتهم.

• اول حكومة

اول حكومة في عهد الزعيم حسني الزعيم كانت برئاسته، كما احتفظ لنفسه بوزارتي الدفاع الوطني والداخلية، وأسند نيابة رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية إلى الأمير عادل ارسلان، اما بقية المناصب فتوزعت، كما أذكر، على الشكل التالي:

فيضي الأتاسي للمعارف والصحة والشؤون الاجتماعية، حسن جبارة للمالية، اسعد كوراني للعدلية، فتح الله الصقال للاقتصاد الوطني، نوري الايبش للزراعة، لكن هذه الوزارة عدلت بعد يومين من تشكيلها، فعهد إلى الصقال بوزارة الاشغال العامة بدلا من الاقتصاد



قائد الانقلاب بين ملك مصر
الراحل وكاتب المذكرات نذير فنصه



الزعيم بين فاروق ونذير فنصه بالطربوش

الوطني. وأصاب الصقال رحمه الله نجاحا كبيرا في ادارة هذه الوزارة وقام بتنفيذ العديد من المشاريع العمرانية التي تشهد إلى الآن بمآثره في مجال البناء.

كانت عناصر هذه الوزارة الأولى من الشخصيات الحيادية المرموقة، ذات الماضي النظيف. وقد مارس اعضاؤها السياسة والادارة منذ زمن بعيد، وعرفوا جميعهم بميلهم الى الاصلاح.

ولاعطاء فكرة عن كيفية تعامل الزعيم في أمور الدولة، سأروي بعض تفاصيل احدى جلسات الحكومة الأولى، كان ذلك في ١٦ أيار ١٩٤٩، وكان اجتماع الحكومة برئاسة الزعيم حسني الزعيم وحضور نائب رئيس مجلس الوزراء، الأمير عادل أرسلان. كانت الجلسة إستثنائية للنظر في مشروع القانون المدني الذي أصر الزعيم، بدافع من وزير العدل اسعد كوراني، ان يكون فاتحة الاصلاح القضائي في البلاد. خلال الجلسة طلب عادل ارسلان مهلة ما ليقول كلمته في القانون الجديد، فاحتد الزعيم وقال: «ان هذا الطلب هو من وحي اشخاص طافوا على بعض الوزراء وطلبوا إليهم عدم الموافقة على هذا القانون، أنا لا أقبل هذه الأساليب وأريد التصديق فورا». فأجاب عادل ارسلان بحدة أيضا: «أنا ايضا لا استطيع ان اوافق على قانون لم أقلب صفحاته بعد ولم أدرس مواده». هنا تدخل الجميع في المناقشة فقيل لأرسلان ان اللجنة التي وضعت القانون استوحت معظم مواده من القانون المصري، وانه تتعذر عليه دراسته لما يحويه من مواد متعددة ومتنوعة هي من اختصاص علماء القانون، لم يقنع ارسلان، واصر الزعيم على الموافقة في الحال واخيراً، من أجل ايجاد مخرج لهذا المأزق، اقترح الوزراء على الزعيم ان يمهل ارسلان يومين يتسنى له خلالها القاء نظرة على القانون ويبدي ما يراه من ملاحظات. فوافق الزعيم.

بعد يومين، صدق مجلس الوزراء بالاجماع الكامل على القانون المدني، الذي ظل نافذ المفعول حتى الآن. ولكن حتى جلسة التصديق هذه لم تمر دون عواصف وأمواج، اذ عندما إلتأم مجلس الوزراء برئاسة الزعيم، وطرح المشروع للتصديق، حاول عادل ارسلان ابداء بعض الملاحظات لعل النقاش يطول. فنهض الزعيم على الفور وأمسك بسماعة الهاتف وبدأ يتصل بقيادات الالوية العسكرية، متشاغلا عن المناقشة. فيأمر بتحريك اللواء الفلاني من مكان إلى آخر وبنقل الكتيبة المدرعة من ثكنة إلى أخرى. وكان يصدر هذه الأوامر بصوت جهوري عال يهز قاعة الاجتماع، فنظر الوزراء إلى بعضهم البعض وكان الأمير اول الموافقين على المشروع. وتلت التصديق موافقه اخرى على الغاء الأوقاف الذرية التي أفاد اناس كثيرون منها، وكذلك قانون التجارة والجزاء.

تنازعت عهد الزعيم تيارات واتجاهات فكرية وسياسية عدة اذكر منها ما يلي:

- الاتجاه الاول كان يتزعمه فارس الخوري، رحمه الله، ويؤيده فيه اسعد كوراني، وأميل أنا شخصيا إليه اكثر، وهو ينحصر في اطفاء النيران التي شبت في البيت، على حد تعبير فارس الخوري، ويعني بها نيران الانقلابات العسكرية، والعودة بالبلاد تدريجيا الى عهد دستوري جديد تكون لحقوق الانسان فيه المكانة الأولى، ثم تعديل قانون الانتخابات ليقوم نظام دستوري ديموقراطي جديد يكون القانون فيه هو السائد. على ان يستغل هذا الانقلاب العسكري للاصلاح والتقدم وان يعمل رجال السياسة متضامنين لتجنب المزيد من تورط الجيش في السياسة.
- الاتجاه الثاني تزعمه اكرم الحوراني وميشال عفلق وصلاح بيطار، وهو نادى باصلاح جذري فوري على أسس اشتراكية.

● الاتجاه الثالث تزعمه رشدي الكيخيا وناظم القدسي، زعيما حزب الشعب، ونادى بعودة الجيش فورا إلى ثكناته وإعادة الأمور إلى اوضاعها الطبيعية.

● الاتجاه الرابع، وهو الأضعف، كان اتجاه «الحزب الوطني» الذي كان يدعو إلى مهادنة الجيش والسعي لانتخابات جديدة، على أمل ان يكسب بعض المقاعد الجديدة بعد هزيمته أمام منافسه حزب الشعب.

وبين هذه الاتجاهات والتيارات وقفت البورجوازية الوطنية الناشئة موقف الخائف الوجل من نوايا الزعيم في الاصلاح الاقتصادي والقضائي والمالي والضريبي.

في هذه الاثناء كان العمل ساريا بجدية في اعداد دستور جديد لسورية. وكان يرأس لجنة الدستور وزير العدل اسعد كوراني. كان يمكن لسورية ان تحظى بأفضل دساتيرها، لكن الزعيم، لما استتب الأمر له، حدثت القطيعة بينه وبين معظم الأحزاب والفئات السياسية، فأبعد عنه اكرم الحوراني ونفر من حزب الشعب، ومن ثم حزب البعث، ثم سلم انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي إلى الحكومة اللبنانية التي اعدمته، وزج الشيوعيين في السجون. وهكذا تألب الجميع ضده وسايرهم الرأسماليون والصناعيون الذين توجسوا خيفة من مرامي الزعيم الاصلاحية لاسيما ما يتعلق بالاصلاح المالي والضريبي، وخاصة فرض الضرائب الاستثنائية على الأرباح لسد عجز الخزينة. وبطبيعة الحال لم تكن بعض الفئات التقليدية لترضى عن رجل يدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة. ولم يجد الزعيم له حليفا سوى بعض زعماء «الحزب الوطني» وبعض السياسيين المحايدين الذين يأملون في الاصلاح عن طريق الانقلاب.

اعتقد جازما ان اصحاب النوايا الطيبة، المتطلعين إلى اصلاح

حقيقي في اجهزة الدولة، ونظام الحكم، قد ارتاحوا كثيرا إلى صدور القانون المدني وقانون حل الأوقاف الذرية، ثم فرض الضريبة التصاعدية التي استثنت ذوي الدخل المحدود. على ان شراع السفينة كان اكبر من السفينة نفسها. كما كان فارس الخوري يقول. لذلك غرق الربان. ومع هذا فان التاريخ سيذكر ان سورية كانت أول دولة عربية مستقلة نادت بالاصلاح الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وتوزيع الملكيات الكبيرة، سواء في عهد شكري القوتلي، واكثر في عهد حسني الزعيم.

قد يكون الزعيم بدأ يتوجس شرا، او بدأ الخوف الذي ينتاب الذين في مثل وضعه. فقد جلب بعض المدربين العسكريين الالمان ليصبحوا من حرسه الخاص. ولما لاحظ استياء بعض الذين حوله من هذا الوجود غير السوري استبدلهم بطاقم من الحرس الخاص جميع اعضائه من الشراكسة الموجودين بين صفوف الجيش السوري، ثم جاءني مرة، وقد يكون ذلك قبل شهر من سقوط الزعيم واعدامه، هرانت بك، وكان سوريا ارمنيا وقائدا للدرك، وهو من الأصدقاء القدامى للزعيم نفسه، وقال لي بلغته المكسرة: «خذوا حذركم، هناك مؤامرة ضد الزعيم لقلبه». فقلت له وأنا اشير بيدي إلى مكتب الزعيم المجاور لمكتبي في القصر الجمهوري في حي المهاجرين في دمشق :«ادخل عليه بنفسك واخبره». فقال : «لدي معلومات كثيرة حول حركات معادية للزعيم في اوساط الجيش. ولكنني لن أقول له لأن مرض السكري اشتد عليه وأصبح سريع الغضب».

بعد أيام جاءني ضابط سوري كردي، نسيت اسمه، وقد اصبح فيما بعد قائدا عاما للشرطة في عهد اديب الشيشكلي، وقال لي بعدما حذرني من وجود معلومات عن تحركات مريبة ضد الزعيم: «يجب على الزعيم ان يستبدل حرسه الشركسي بحرس من الاكراد. فوالدته كردية ونحن أولى بحراسته».

بعد ايام اخرى، جاءني صديقي الدكتور عبد الكريم العائدي، وهو من مجاهدي الصف الأول لاستقلال سورية وكان قائدا للشرطة في عهد القوتلي، وقال لي: «احذروا، هناك فئات معادية للزعيم داخل الجيش وهي نشطة جدا».

كنت اصدق هذه التحذيرات. وكنت في أعماقي اعتبرها نذيرا لا يمكن الاستهانة به. ولكنني لو أخبرت الزعيم فلن يتغير في الأمر شيء لأنه كان تائها، نشوانا بنفسه.

كان يمكن للزعيم ان يشك فيَّ مثلا، ولا يشك بصديقه سامي الحناوي الذي قلبه وقتله في مابعد. لذلك، فالتحذيرات لن يكون لها اي مفعول لديه ●

حسني الزعيم وزعماء الأحياء

في اليوم العاشر من قيام حسني الزعيم بانقلابه العسكري اعتقد انه يوم ١٠ نيسان ١٩٤٩. استلمت في مكتبي في رئاسة الاركان العامة رسالة مغفلة مكتوب عليها «مستعجل وسري جداً» ارسلها المقدم ابراهيم الحسيني رئيس المكتب الثاني والشرطة العسكرية.

فتحت الرسالة وقرأتها كانت مثيرة جداً. خلاصتها ان اكثر من مائة.. من تجار وزعماء الأحياء ذكرت الرسالة اسماء اكثرهم وقادتهم وكلهم من اصحابي وأعرفهم ويعرفهم حسني الزعيم طبعاً، عقدوا صباح امس اجتماعاً في جامع «دنكز» بدمشق وناقشوا موضوع القانون المدني، وقانون الغاء الاوقاف الذرية، وقوانين اخرى كان الزعيم حسني الزعيم اعلن قبل يومين انه كلف الوزير اسعد كوراني بتحضيرها. وهاجم بعض الخطباء الزعيم «الملحد» وقالوا أن القانون المدني لا يتفق مع الاسلام وانه يلغي قانون الملة الاسلامي الى غير ذلك، وتبارى الخطباء بالهجوم على الانقلاب العلماني... الى آخره. وبعدها وقف احد رجال الدين الافاضل وقال: يا جماعة دعونا لا نندفع بالعاطفة وانا اعرف حسني الزعيم واعرف اخاه الشيخ صلاح الزعيم الرجل التقي وحسني الزعيم مسلم وقد يكون بعض رجال حاشيته قد ضللوه وخدعوه وانا اقترح أن نؤلف وفداً ونذهب لمقابلته واقناعه بتغيير رأيه. فوافق الجميع على هذا الاقتراح وانتخبوا/ ٢٥ / منهم على ان يتصلوا غداً - أي اليوم - بسكرتير الزعيم نذير فنصه - ليأخذوا موعداً لمقابلة الزعيم.

دخلت مكتب الزعيم وقرأت له هذه الرسالة. فضحك كثيراً وقال متى اتصلوا بك حدد لهم موعداً بعد الغد الساعة ١١ صباحاً.

وفعلاً عند الظهر اتصل بي الشيخ.. (حبنكة) وهو صديقي ورجل فاضل ومتدين صادق وخطيب لامع وجريء جداً فأجبته باحترام كامل أن الزعيم غداً مشغول جداً وبعد الغد الساعة ١١ صباحاً تفضلوا لمقابلته، فقط ارجوكم ان تحضروا بالموعد المحدد تماماً.

دخلت لمكتب الزعيم وابلغته بالمخابرة.

قال اطلب لي المقدم ابراهيم حسيني. طلبت المقدم ابراهيم واعطيت السماعة للزعيم. قال الزعيم بشكل جدي جداً. اسمع يا ابراهيم: بعد الغد الساعة ١١ وعشر دقائق تماماً تلفن لي وتكلم ما تشاء واسمع مني ولا تجاوبني سوى بنعم. واغلق التلفون. بعد الظهر حضر الى مكتبي المقدم ابراهيم الحسيني وقال لم أفهم شيئاً من كلام الزعيم؟! قلت: لقد عرضت عليه تقريرك حول زعماء الاحياء فضحك وقال لي اطلب لي المقدم حسيني. هذا كل ما اعرفه قال: انه يسمع منك يا نذير. اذهب اليه مساء في منزله وابلغه بشكل لبق جداً ان لا يتحرش بهؤلاء الزعماء وان يستقبلهم بشكل لائق. لا نحب ان ندخل في مشاكل معهم. انهم اقوياء جداً ولهم شعبية ونحن بحاجة اليهم. علماً بأن الزعيم كما اعرفه رجل متدين ووالده كذلك وشقيقه أيضاً صلاح. لا نريد مشاكل يا أخ نذير. قلت انا من رأيك ولا سيما واكثر الوفد المؤلف من اصدقائي.

وفي المساء حسب عادتي تناولت مع الزعيم طعام العشاء وعرضت وجهة نظر المقدم ابراهيم الحسني وتأييدي له. فضحك الزعيم كثيراً وقال سترى غداً. انا ابن دمشق واعرف دمشق واهلها. واعرف هؤلاء الزعماء.

قلت اياك ان تهينهم او تسيء استقبالهم. والله والله انا اترك هذا

المكتب واذهب الى بيتي. فضحك ايضاً وقال انت من اهل حلب وليس من اهل الشام. وسترى.

في الموعد المحدد وقبل ٧ دقائق حضر ما يقرب من العشرين زعيماً فرحبت بهم بحرارة وبقينا وقوفاً لأن مكتبي كان غرفة صغيرة بجانب مكتب حسني الزعيم.

في الساعة ١١ **تماماً فتحت** الباب. فوجدت الزعيم واضعاً «المونوكل» أي زجاجة واحدة على عينه على الطريقة الانكليزية وبيده عصى صغيرة يحملها عادة كبار الضباط وبيده اليسرى كفوف بيضاء، فضحكت سراً على هذا المنظر (الكاريكاتوري) وكان طبعاً بلباسه



الدخول الى حفلة بلودان الاخيرة: الزعيم والى اليسار نذير فنصه.

العسكري واوسمته!..

دخل الزعماء فبدأ يرحب بهم بحرارة ويذكر اسماءهم وداعب بعضهم بعبارات لطيفة جداً.

في الساعة ١١ وعشر دقائق دق التلفون فاخذت السماعة وكان المقدم ابراهيم الحسيني على الخط قلت: المقدم ابراهيم الحسيني يريد ان يكلمك. قال: قل له ان ينتظر على الخط. وبعد ان صافح الجميع ورحب بهم اخذ السماعة وقال: نعم مقدم ابراهيم. ماذا. ماذا. انا لا اسمح بمثل هذه الامور اخرجه من الزنزانة واعدمه فوراً في ساحة سجن المزة. كان يحمل مسدساً ام موسى. لافرق موسى او مسدس اطلق عليه النار فوراً. انا لا اسمح. لا اوافق ان يعترضني احد. وضعت دمي علي كفي اريد ان اصلح. اريد ان اطبق القوانين. لا اقبل بأي امر من هذا النوع. افهمها.

انا فهمت «التمثيلية» فنظرت الى وجوه المشايخ فوجدتها قد اصفرت وكل واحد ينظر الى رفيقه. فغلبت علي النكتة وشعرت أنني سأنفجر بالضحك... فاخرجت منديلي من جيبي وادرت وجهي نحو الحائط وعملت نفسي انني انظف انفي... بينما كنت اكتم ضحكتي...

وبعد هذه المخابرة ارجع سماعته التلفون بعصبية وقال: قبضوا على شاب معه مسدس. امرت باعدامه فوراً. انا سأربي هذا الشعب الذي علمه شكري القوتلي الاستخفاف بالدولة والقوانين. ما كان عهد القوتلي عهد هيبة كان عهد استغلال وفوضى...

ثم اضاف بصوت جهوري: تفضلوا ماذا تأمرون؟ لم يتكلم احد كأن على رؤوسهم الطير... كل واحد ينظر الى الآخر. وبعد دقيقة جمود قال احدهم جئنا لتهنئتك والله يوفقك والسلام عليكم واندفع نحو الباب بدون ان يصافحه وتبعه البقية وكأن حريقاً وقع في الغرفة والشاطر منه يخرج قبل الآخر.

قال لي الشيخ (حبنكة) وهو يودعني: اعانك الله يا نذير. انه مجنون. كيف يعدم شخصاً بدون محاكمة فقد يكون هذا المسدس الذي وجد معه للدفاع عن النفس. هذه مهزلة. وخرجوا بعضهم صافحني

مودعاً حزيناً خائفاً والبعض هرول بالخروج!..

دخلت على الزعيم. فوجدته مستلقياً على كرسيه ورجليه على الطاولة يضحك ويضحك ويمسح عينيه بمنديله من كثرة الضحك.

قال واذكرها بالحرف الواحد:

« هيك شعب، بدو هيك واحد مثلي »!!

وبعد أيام نشر القانون المدني ونشرت قوانين اخرى منها الغاء الاوقاف الذرية ولم يصدر اي صوت اعتراض لا من رجال الأحياء ولا من غيرهم: لأن قصة المسدس (الوهمي) اصبحت حديث اهل الشام.

حسني الزعيم وزعماء المناطق الموالين

● تدريجيا بدأ التوتر يسود العلاقات بين دمشق وكل من بغداد وعمان. وقد كتب مرة منير العجلاني في جريدة « النضال » مقالا مدح فيه الهاشميين. فاعتقله الزعيم حسني الزعيم ومعه صاحب الجريدة النائب سامي كبارة. والاثنان هما من اصدقائي. وذهلت للأمر، فدخلت ذلك الصباح ثائرا محمر الوجه من الانفعال إلى مكتب الزعيم وقلت له: « شو قصتك؟ صحيح انك مجنون! العجلاني وكبارة أصدقائي. هل تظن انني سأبقى أعمل معك وهما في السجن؟ ». وفي اعصاب باردة وخفة دم نادرة قال لي الزعيم: « لاتزعل. خذ سيارتي واذهب إلى المزة وأخرجهما واحضرهما لنتغدى معا ».

غضبي انقلب ضحكا من هذا الموقف الجدي - المازح، غير المعقول. وبالفعل طلب الزعيم سجن المزة بيد وصرخ بصوته على الطباخ ليهيء الغداء لاربعة. فذهبت بسيارة رئيس الدولة « البويك » إلى سجن المزة ودخلت خجلا إلى زنزانة العجلاني وزنزانة كبارة معتذرا، ثم داعيا اياهما للغداء إلى مائدة الزعيم. فغرق الرجلان بالضحك لهذا

الموقف الذي لا يصدق. وبالفعل ذهبت بها وتغدينا مع الزعيم في القصر الجمهوري.

ولكن موضوع العراق والاردن كانت لها مكانة كبرى، اذ عقد الزعيم مؤتمرا صحفيا في مكتبه في قيادة الاركان العامة للجيش السوري، كان فيه بادي الغضب والعصبية. والكلمة الأولى التي نطق بها كانت بداية لحملة شعواء على الملك عبد الله عاهل الاردن آنذاك. ونوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك. والأمير عبد الاله الوصي على عرش العراق.

قال الزعيم امام عشرات الصحافيين الذين حضروا هذا المؤتمر العاصف: «هؤلاء لم يعترفوا بالوضع الجديد في سورية (كان ذلك ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ وانهم يتآمرون علينا، وقد اسفروا عن نواياهم العدوانية بحشدهم قواتهم على حدودنا بغية تحقيق مشروعهم المسمى «الهلال الخصيب» أو مشروع «سورية الكبرى».

وبدأ الزعيم يشتم الملك عبد الله شتما قبيحا، وتملكه غضب شديد وصرخ مهددا: «لسوف آتي بالملك عبد الله إلى دمشق.. وأعلق مشنقته في ساحة المرجة. ولسوف اشنقه من..». هنا قام أخي بشير الذي كان يتولى مكاني ادارة تحرير جريدة «الف باء» وقال للزعيم: «ولكن يا سيدي.. هذا كلام لا يصلح للنشر. وانتم، يجب ان تكونوا فوق مستوى هذه التصريحات». وساد القاعة وجوم بارد لمقاطعة كلام الزعيم، فنظر بطرف عينه إلى شقيقي بشير وقال له: «اسكت انت، لا تقاطعني، هل ستعلمني ما يجب ان اقول او لا أقول؟!».

سأنصب المشانق واجعلك تاجر برانيط

وانفض المؤتمر الصحافي في جو ساده التوتر. ولكنني اوعزت الى مديرية المطبوعات ان توزع على الصحف نصا رسميا لمؤتمر الزعيم لا يتضمن الكلمات النابية التي تفوه بها.

وفي الأيام التي تلت مضى الزعيم في اطلاق التصريحات ضد العراق والاردن، وهدد بالهجوم العسكري على الاردن وضمه إلى سورية بالقوة. وكان لهذه التصريحات دوي في الخارج. هنا ايضا عممت على الصحف تكذيبا مكتوبا بان الزعيم لم يقل ما قاله بالفعل.

غلوب باشا، الضابط البريطاني الذي كان آنذاك قائد الجيش الاردني، كان في الولايات المتحدة عندما صدرت تصريحات الزعيم، فعقب بدوره قائلا: «ان الاردن لن يقف مكتوف الأيدي ازاء الاستفزازات السورية، وان سورية يحكمها اليوم رجل عصابات يشبه إلى حد بعيد رؤساء العصابات المنقرضه في شيكاغو»

• متضايق من جهتين

ومضت ايام، والزعيم متضايق جدا من الضغوطات العراقية من اجل تحقيق مشروع «الهلال الخصيب» من جهة، ومن الملك عبد الله من جهة ثانية الذي كان يلح على تحقيق مشروع «سورية الكبرى».

كنت أتناول العشاء يوميا في منزل الزعيم في حي الجسر، وكان منزله عبارة عن شقة اكثر من متواضعة، وهي كمنزل موظف بسيط. ولم يكن فيها اي اثر للترف والبذخ. كما كان العشاء بسيطا، اولا بسبب

بساطة طوية الزعيم، وثانيا لاتباعه نظام حمية مشددة بسبب داء السكري الذي يعانيه.

كان يقول لي بالحرف الواحد: «الكل طامع في هذا البلد، الذي لم يستقل سوى منذ سنوات قليلة. إنني لن أقبل بتسليم سورية إلى حكام مشتبه في أمرهم باسم الوحدة او الاتحاد. انهم يريدون عرشا، وشعبنا لا يحب سوى جمهوريته وسوف نعمل مع مصر من اجل اتحاد غير مرتبط بأي حلف أجنبي». واضاف: «انني لن افرط باستقلال سورية، وأنا في ذلك على اتفاق مع اكثر السياسيين القدامى. وانني اسر اليك انهم اذا واصلوا مضايقتنا واستمروا في ضغوطهم وحشودهم على حدودنا. فلن أتأخر لحظة عن الاتفاق مع الاتحاد السوفياتي ليصبح لنا حليفا في محنتنا، ولتندلع بعدئذ الحرب العالمية الثالثة هنا من دمشق».

استمر الزعيم ساعات طويلة في شكواه من العراق والاردن آنذاك. ثم انتقل بحديثه عن قرب زيارة الملك فاروق إلى دمشق (وهي الزيارة التي لم تتم) وما ينبغي ان يقابل به من حفاوة وتكريم، وقال: «انظر إلى بيتي هذا. هل أستطيع استقبال ملك فيه؟ انهم ينصحونني بالانتقال إلى بيت كبير مناسب في حي أبو رمانة. لقد رفضت قرارا لمجلس الوزراء بان يبني منزلا مناسبا ليكون مقر ضيافة فرفضت. انني كما تعرفني رجل «درويش» وأفضل ان أظل هكذا، وأن أبقى في هذا المنزل الصغير».

هكذا كان الزعيم: مرة رجل «درويش» متواضع وطيب، ومرة رجل عسكري صارم وخطير ومحب للمخاطر والابهة. ولكن الثابت في شخصية الزعيم هو حبه للاصلاح وتقدم البلاد. ثم تقليده وتأثره البالغ بمصطفى كمال «أتاتورك».

في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٩، صادق مجلس الوزراء على المرسوم الخاص بانتخاب رئيس الجمهورية الذي سيحل دستوريا محل شكري

القوتلي. ونشرت الصحف السورية في حروف بارزة ما يلي: الديموقراطية الصحيحة في استفتاء الشعب وانتخاب رئيس الجمهورية » و« خير ما يعطى على ايمان الحاكم بعدل الشعب هو ثقة الشعب بعدل الحاكم ».

طبعا، **المبايعات المسبقة** جاءت من كل المناطق السورية، ووردت علينا برقيات البيعة قبل موعد الاستفتاء، إلى جانب مشاريع عدة لاقامة تماثيل للزعيم في هذه المدينة او تلك من سورية، كما لم يرشح احد نفسه لمنافسة الزعيم على الرئاسة الأولى، ما عدا رجل واحد هو المدعو بشير كمال « قائد حزب الله » وهو أحد مهابيل الشوارع في دمشق، وفي ٢٦ حزيران (يونيو) أعلنت نتائج الاستفتاء العام، وجاء في البلاغ الرسمي: « تبين لدى تدقيق المحاضر المقدمة من لدن وزارة الداخلية ان مجموع الأصوات بلغ ثمانمائة وستة عشر ألفا وثلاثمائة وواحد وعشرين صوتا. وان عدد الذين اشتركوا في الاقتراع فعلاً هو سبعماية وثلاثون الفا وواحد وثلاثون ».

ما من شك ان معظم الناس تقدم إلى صناديق الاقتراع بنية سليمة، وعن ثقة ان عهد الزعيم سيكون عهد خير وبركة، وانه سيقيم حكما ديموقراطيا سليما. لكن مأساة معظم حكام العالم الثالث انهم يعانون منذ اللحظة الاولى لتوليهم الحكم صعوبات الادارة الداخلية، اذ فورا يتعين عليهم الاهتمام بالسياسة الخارجية بسبب الظروف الدولية المتشابكة والمعقدة، فلا تبقى للحاكم فرصة للتفكير في الأمور الداخلية.

في هذه الفترة صدرت مراسيم بترفيع كبار ضباط الجيش. وفي مقدمة من رفع العقيد سامي الحناوي الصديق الشخصي لحسني الزعيم والمكلف بقيادة الجبهة السورية، فأصبح برتبة زعيم (اي عميد بحسب توحيد الرتب العسكرية العربية الذي تم في ما بعد).

وأذكر كيف ان هذا الضابط « الوفي » لحسني الزعيم، وكان شبه أمي وبدينا يزن حوالي مئة وستين كيلوغراما، كان يتزلف للزعيم. وقد

دخل في اليوم الأخير لحسني الزعيم في القصر الجمهوري، اي قبل ٢٤ ساعة من مصرعه على يد الحناوي نفسه، هذا «الصديق الوفي»، وأذكر كيف ربط الحناوي غطاء الطاولة على خصره وصار يرقص للزعيم ويهرج له ويضحكه ليثبت دوام محبته له.

وما أن تولى المشير حسني الزعيم (وصار هذا اللقب العسكري ملازما لاسم الزعيم)، رئاسة الجمهورية حتى قدمت الحكومة الأولى استقالتها فكلف الزعيم الدكتور محسن البرازي بتشكيل الحكومة الجديدة.



الزعيم يصافح رئيس وزرائه محسن البرازي وبدا في الوسط عبد الحميد السراج

• منصف ومعتدل

كان محسن البرازي وزيرا للداخلية في آخر حكومة في عهد شكري القوتلي، وكان رجل قانون منصفا وهادىء الأعصاب، وقد عهد إليه الزعيم في أول عهده بتولي سفارة سورية في القاهرة نظرا للعلاقة الخاصة التي ربطت الزعيم بالملك فاروق.



في الاسكندرية ١٩٤٩: محسن البرازي والعقيد ابراهيم الحسيني في اقصى اليمين ووراء البرازي نذير فنصه. وبعض رجال التشريفات وذلك قبل ان يقدم البرازي اوراق اعتماده للملك فاروق.

محسن البرازي، كرجل علم، لم يكن ليهتم بشعبية او بهالة لاسمه، كان بعيدا كل البعد عن اي غوغائية او دعاية شخصية. ولم يكن من نمط الاشخاص الذين يعملون لارضاء هذا السياسي او ذاك العسكري.

منذ تولى البرازي رئاسة الحكومة الجديدة، وتولى فيها حقيبة وزارة الخارجية بدأ بعملية تطهير واسعة في الخارجية تناولت اولا تنحية الدكتور اسعد طلس من جميع مناصبه في الخارجية والدفاع الوطني وإعادته إلى سلك التعليم.

اسعد طلس كان عديل سامي الحناوي وصديقه الشخصي. وهو كرجل مثقف له تأثير كبير على الحناوي، ذلك الضابط الذي كان قائد اللواء الأول في القنيطرة.

وجد محسن البرازي، في الأيام الأولى لعملية تطهير جهاز وزارة الخارجية، في ملف اسعد طلس، ان الأخير عندما كان وزيرا مفوضا لسورية في ايران أبلغ الخارجية السورية ان منزله في طهران قد سرق، وانه يطلب تعويضا عن المسروقات. وزارة الخارجية الايرانية أبلغت

دمشق ان طلس كاذب وارفقت ذلك بتحقيق من الشرطة الايرانية يثبت ان طلس باع محتويات منزله الى اشخاص ايرانيين ذكرت اسماءهم، ثم ادعى ان منزله سرق.

محسن البرازي لم تكن تهمه ذيول عملية التطهير لانه كان، بصفته رجل قانون، يعتبر ان التطهير يجب ان يكون شاملا او ان لا يكون.

جاءني أسعد طلس في اليوم التالي لطرده يتوسطني لدى الزعيم لالغاء قرار الطرد من الخارجية والدفاع حيث كان يعمل كمستشار. وفي اليوم التالي جاءني سامي الحناوي إلى مكتبي في الرئاسة ليقول ان قرار طرد طلس لا يليق بضابط مثله، صديق للزعيم ومساعده الأول.

ذهبت ارجو محسن البرازي التراجع عن القرار فرفض وكنت انتظر هذا الرفض الذي جعل الاحقاد الشخصية تغلي فتودي بالزعيم والبرازي. ثم ذهبت إلى الزعيم اتوسط لعودة طلس، فطلب من البرازي إلغاء قرار طرد طلس فلم يقبل ايضا وهدد بالاستقالة من رئاسة الحكومة في حال عاد أسعد طلس إلى الخارجية.

صار اسعد طلس بحكم تفوقه، علما وذكاء، على عديله سامي الحناوي، يوغر صدره ضد الزعيم، كان الحناوي يتردد علي ويقول لي انه سينتقم من عملية طرد عديله، أبلغت الزعيم نية الحناوي الانتقامية فاستخف به وبها، وقال لي: «خلي يأكل...».

مبدئيا، لم يكن محسن البرازي مخطئا في موقفه، فهو يقوم بواجبه، ولكن الخطأ كان سياسيا بسبب تركيبة مجتمعنا آنذاك حيث الروابط العائلية والعشائرية والصلات الشخصية لها الدور الرئيسي والأهم من المواقف المبدئية، وثبت ذلك في النهاية الدامية للزعيم والبرازي.

قضية طرد اسعد كانت الشرارة الأولى التي حركت الانقلاب العسكري السوري الثاني. لم يسكت طلس على الاهانة التي لحقت به،

وصمم بالتعاون مع عديله سامي الحناوي على الانتقام، وانتقم فعلا، وكان انتقامه رهيبا.

قد يقول بعض المحللين السياسيين ان الزعيم ورئيس وزارته ذهبا ضحية الصراع على مناطق النفوذ بين اميركا وبريطانيا في الشرق الاوسط، قد يكون هذا على جانب كبير من الصواب. ولكن ان صح هذا الرأي فان العاملين له عرفوا كيف ينفذوا إلى بواطن الأمور، وفي صميم العلاقات العائلية والشخصية بين مختلف رجال السياسة في سورية، وعرفوا ما جرى بين اسعد طلس ومحسن البرازي، وعلموا بما كان يربط بين طلس والعائلة الألوسية في العراق من روابط القربى، وصلات النسب، فاستغلوها إلى أبعد الحدود للقضاء على حسني الزعيم وحكمه. ومن المعروف ان عائلة الألوسيين الواسعة النفوذ انذاك في العراق، والتي تدعم حكم نوري السعيد، كانت صلة الوصل بين هؤلاء وأولئك؛ فتم الانقلاب الثاني بتأييد من نوري السعيد.

انها قصة غريبة، وقد لا يعلم بها الا نفر قليل من رجال الحكم والسياسة. ولكنها الواقع بعينه. وأحيانا يكون الواقع أغرب من الخيال.

أذكر لهذه المناسبة ان محسن البرازي تلقى قبل أيام من مصرعه «برقية شعرية» من الشاعر الحلبي الأصل عادل غضبان المقيم في مصر والذي يرأس تحرير مجلة «الكتاب» المصرية آنذاك، يقول فيها: «دعاك الزعيم فلبٌّ النداء /فأنت له الساعد الأيمن/تحط السفين بشط السلام/اذا كان ربانها محسن».

ولكن ربان هذه السفينة، رحمه الله، كان السبب الأول في غرقها دون ان يريد او يتمنى بالطبع.

بعد أيام من انتخاب الزعيم رئيسا للجمهورية، أطلعني مرافقاه الملازمان عبد الحميد السراج وهيثم الكيلاني على رسالة مغفلة التوقيع.

الزعيم في الوسط وبدا من اليمين محمد ناصر، بهيج الكلاس، انور بنود، خانكان، نذير فنصه، صوايا وعبد الحميد السراج



ومذيلة فقط بتوقيع «صديق».

قرأتها بامعان زائد، فاذا بها تتضمن أخبارا عن مؤامرة يعدها بعض ضباط الجيش لاطاحة الزعيم وحكمه. ويقول «الصديق» كاتب الرسالة، انه حضر اجتماعا مع هؤلاء الضباط المتآمرين في احد أقبية المنازل لافشاء سرهم في أقرب فرصة، وانه سيقابل بشير فنصه رئيس تحرير «ألف باء» (اي شقيقي) ويطلعه على كل شيء.

استدعيت شقيقي بشير إلى القصر ليقابل الزعيم بشأن هذه الرسالة. قال بشير للزعيم انه يعتقد انها رسالة تخويف من حاقد او ناقم يود ازعاج الزعيم. فطلب الزعيم من بشير مقابلة هذا «الصديق» في ادارة الجريدة اذا جاء، وان يبلغه بهويته.

للمصادفة، (او قد لا تكون المصادفة - الله أعلم) أن أسعد طلس زار بشير فنصه في الجريدة مساء اليوم نفسه وكرر شكواه من محسن البرازي الذي طرده من الخارجية وأعاده إلى سلك التعليم، وإلى تعليم الأطفال. لم يقل طلس أكثر من ذلك كما روى لي شقيقي في ما بعد،

ولكنه بدا، مترددا.

مرت الأيام، وحدث الانقلاب الثاني. وقتل الزعيم والبرازي على يد سامي الحناوي وجماعته. وكان الدكتور اسعد طلس حاضرا عملية الاعدام ليتشفى اكثر ممن أذله.

ساورني الشك بعد ذلك بان هذا «الصديق» صاحب الرسالة السرية هو الدكتور أسعد طلس نفسه. ولعل الدافع إلى كتابتها كان خشية من ان تفشل مؤامرة الحناوي ويحبط الانقلاب الثاني فيتهم مع المتآمرين لصلته الوثيقة بعديله سامي الحناوي ويصبح موضع شبهة.

• عهد الغطرسة

كان الزعيم في هذه الفترة من حكمه مأخوذا بمظاهر الحكم وبالابهة التي تحيط عادة بمنصب رئيس الجمهورية. حتى ان جريدتي «الف باء» التي كان يديرها نيابة عني أخي بشير، نشرت مرة هذا الخبر «يشوق الكثيرين من الذين يودون ان يطلعوا على دقائق الأمور ان يعلموا ما هو الرداء الذي ارتداه حضرة صاحب الفخامة المشير حسني الزعيم المعظم لمناسبة انتخابه بالاجماع الشعبي العام لرئاسة الجمهورية. ولمناسبة تقبله التهاني من وفود المهنئين الرسميين وغير الرسميين». وأضافت: «فقد ارتدى فخامته يوم امس الأول منذ الصباح رداء مدنيا هو «البونجور» عندما انتقل من السرايا إلى القصر الجمهوري في ذلك الموكب بل المهرجان العظيم الذي يرتد عنه الطرف، وبه استقبل المهنئين وفق البرنامج الرسمي. اما يوم امس صباحا فقد استقبل وفود المدن السورية ببزة بيضاء مدنية، وارتدى بعد الظهر عندما استقبل البعثة الملكية المصرية برئاسة عمر فتحي باشا البزة الرسمية (الفراك). وسيرتدي فخامته صباح اليوم بزة المشير، وهي اول بزة لهذه الرتبة يرتديها بوصفه القائد الاعلى للجيش الباسل».

كان بعض اصدقائي وأصدقاء الزعيم القدامى يسرون إليّ هامسين:

«أهذا قائد انقلاب ورئيس دولة ام مانيكان؟ ». .

في الواقع، كان الزعيم مهتما بمظهره، ومهتما بمظهر المواطن السوري لهدف اصلاحي اسوة بما تم في تركيا عهد .مصطفى كمال (اتاتورك). كان يرفض مثلا اعتمار الطربوش خلافا للتقليد المتبع لدى رئيس الجمهورية السابق شكري القوتلي وكبار سياسي سورية آنذاك. وكان الزعيم عازما على توحيد اللباس في سورية وإلغاء الطربوش نهائيا. وقد امر مرة الشرطة والدرك بمعاقبة كل من يظهر في الشارع مرتديا « البيجاما ».

قلت للزعيم مرة انني عازم على الاستقالة لأنني، كصحافي، كنت اربح خمسة آلاف ليرة سورية، وكسكرتير خاص له في رئاسة الجمهورية كان راتبي ثمانمائة ليرة فقط، فقال لي الزعيم: سأجعلك مليونيرا بالحلال. استغربت فتابع الزعيم قائلا لي ان اذهب إلى بيروت وأوصي لدى بعض تجارها استيراد مليوني برنيطة يريد ان يجبر السوريين على اعتمارها بدلا من الطربوش. ولو ربحت نصف ليرة من ثمن كل برنيطة كعمولة، اصبحت مليونيرا. شخصياً ضحكت كثيراً، ولكنه كان جادا.

الزعيم يرفل بكل هذه الفخفخة والطنطنة، والصحف والاذاعة تمجده وتعظمه بشكل سمج لم يكن لي يد فيه او قدرة على إلغائه.

كانت الشائعات تعمل ضده، ولو كانت مجرد شائعات فقط. فقد سرت شائعة بأن الزعيم اقام حفلة ساهرة في مسبح فندق بلودان الكبير، وانه سكر حتى فقد وعيه وأصر على جميع النساء المدعوات ان يسبحن امامه عاريات والواقع ان هذه الحادثة كذب في كذب، لم تحدث مطلقا. والزعيم لم يتناول المسكرات. ولو انه شرب ربع كأس من الويسكي لمات بفعل داء السكري الذي كان يعانيه. وحفلة بلودان كانت سهرة خيرية حضرها الزعيم ولم يحدث خلالها اكثر من اي سهرة خيرية مضجرة.

الزعيم سلم الزعيم وانا اكلت صفعتين

● كنت احب حسني الزعيم كثيراً وأقدر فيه بساطته وظرفه وتقواه وعاطفته، حتى ولو تطرف في مزاجه الذي كان أساسه مرضه بالسكري. ولكنني مع هذا، اعتبر النقطة السوداء الكبيرة في حكمه القصير كانت موضوع انطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي. لم يتلطخ عهد الزعيم بنقطة دم واحدة منذ بدايته الى أن تلطخ بدم انطون سعادة، ثم بدمه هو شخصياً ودم رئيس وزرائه حسني البرازي.

وقد عرف حسني الزعيم بشهامته وحفظه لكلمته ووفائه لأصدقائه. ولكنني لا أدري كيف ارتكب هذه الكبوة، وخطا هذه الخطوة التي أودت بأنطون سعادة. كان، وهو في أوج عهده مثلا يستقبل صديقاً لبنانياً من الأوساط الشعبية كانا يلعبان الطاولة معاً في «قهوة القزاز» في ساحة البرج في بيروت أو في مقهى «الحاج داوود» على شاطىء البحر أيام كان الزعيم منفياً وخارج الجيش. كان هذا الصديق يزور الزعيم في دمشق فيكرمه ويحتفل به مخلصاً. ولا أدري، حتى الآن، لماذا أقدم الزعيم على تسليم انطون سعادة الى السلطات اللبنانية التي بادرت إلى اعدامه بالرصاص فجر الجمعة في ٨ تموز (يوليو) ١٩٤٩.

جاء انطون سعادة الى دمشق بعد انقلاب الزعيم، وطلب منه اللجوء والحماية، فأكرمه الزعيم وأهداه مسدساً. وكانت للحزب القومي قاعدة لا بأس بها في الجيش السوري آنذاك. ومن هنا كان مدخل سعادة الى الزعيم.

كان سعادة وحزبه قد قاما بانتفاضة مسلحة ضد السلطات اللبنانية

التي قمعتهم بشدة. أنا، شخصياً، لم أعرفه جيداً، بل كنت ألتقيه صدفة قبل عشر سنوات تقريباً، وكان ملتحياً يشارك في تحرير جريدة نصوح بابيل «الأيام».

جاء مرة الضابط ابراهيم الحسيني الى منزلي وقال لي: «نحن في ورطة وأنا خائف من عواقبها». كان الحسيني الساعد الأيمن للزعيم ورئيساً للشعبة الثانية في الجيش وقائداً للشرطة العسكرية.

وزاد الحسيني: «ان انطون سعادة في حمى الزعيم، وأنا اعتقد ان الزعيم ينوي تسليمه الى السلطات اللبنانية». ذهلت فعلا. كيف يمكن للزعيم أن يسلم انطون سعادة بعدما اطمأن إليه وأعطاه منزلا في دمشق، واعتبره لاجئاً سياسياً. قلت للحسيني: «مستحيل ان يقدم الزعيم على عمل كهذا».

كان رياض الصلح رئيس وزراء لبنان آنذاك نسيباً لمحسن البرازي، لأن عقيلتيهما من أسرة الجابري السورية الكبيرة. قال لي ابراهيم الحسيني: «عيب علي أن أنفذ أمراً بتسليم انطون سعادة، لذلك عليك بالتدخل فوراً».

وفوراً ذهبت الى الزعيم استفسر عن موضوع سعادة، فقال لي: ان هناك ضغطاً عليه من الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ومن رياض الصلح. قلت للزعيم: «أليس من العار أن تسلم شخصا تعرف انه سيعدم بعدما منحته الأمان؟». فقال لي: «انهم يطلبون مني حتى ان أدبر قتله هنا في دمشق، وأنا لن أفعل ذلك طبعاً، لذا سأسلمه».

قلت له: «رحله. أمن له سبيل السفر الى أي جهة يختارها». فقال الزعيم: «إنها فكرة جيدة... سأطلب منه الرحيل الى الأرجنتين حيث له قاعدة حزبية وعائلية كبيرة».

فرحت جداً، لأنني صدقت وعد الزعيم وسارعت إليه أقبله.

وكررت عليه أن لا يسجل نقطة عار على عهده اذا هو سلم سعادة الى لبنان.

وطلب مني الزعيم أن أقول له إسم الذي أبلغني خبر سعادة فقلت له انه ابراهيم الحسيني، فأكبر الزعيم شهامته مما زاد في يقيني ان الأمر انتهى هنا.

واتصل الزعيم طالباً حضور الحسيني، فحضر بعد نصف ساعة فقال له الزعيم: «ماذا نفعل يا ابراهيم؟» فكرر الحسيني تحذيره للزعيم، وكرر الزعيم انه لن يسلم انطون سعادة.

ثم ذهبت بعيداً في شكوكي فقلت للزعيم:

«يا حسني، هل تقسم بشرفك العسكري انك لن تسلم انطون سعادة الى السلطات اللبنانية؟» فقال الزعيم: «بشرفي العسكري».



من اليمين: عزت خورشيد (مدير المراسم السابق في الخارجية اللبنانية) نذير فنصه، رياض الصلح، خليل رفعت وانور حاتم

• قضية مهمة

بعد ثلاثة ايام، اتصل بي ابراهيم الحسيني في مكتبي في القصر الجمهوري وقال لي انه في الطريق لبحث قضية مهمة، وفعلا جاء بعد فترة وهو يلهث من العجلة والحر، طلب الحسيني مني ان أنفرد به، فاستأذنت ممن كانوا في مكتبي، وأغلقت الباب. فبادرني الحسيني: «الم يقسم لك حسني الزعيم بشرفه العسكري انه لن يسلم انطون سعادة؟ لقد طلبني الى منزله في الصباح وقال لي ان أدبر قتل انطون سعادة».

ذهلت، لم أعد أصدق ما أسمعه من هذا الضابط الشهم. ولكنه استرسل: «قلت للزعيم انني لا أقتل أحداً ولا أدبر مقتل أحد».

صعدت الى مكتب حسني الزعيم بعدما غادر مكتبي ابراهيم الحسيني، فقلت له انني سأتغدى معه، وبعد الغداء في منزله، دخلت معه الى غرفة جانبية واعدت فتح موضوع انطون سعادة فقال لي الزعيم مقطباً: «ابراهيم الحسيني كان عندك، اليس كذلك؟».

رجوت الزعيم مرة أخرى في موضوع سعادة، فبدا لي انه فعلا تحت ضغط ثقيل، ولكنني قلت له: «يا حسني أنت تصلي وتخاف الله، فلا تقدم على هذا التصرف».

بعد أربعة أيام، عقب خلوة طويلة بين الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي، قال لي: بعدما أصبح وحده: «جاءتنا برقية مستعجلة من القاهرة ان الملك فاروق يريدك لأمر هام، فسافر اليوم وعد غداً. الطائرة بانتظارك في المطار لتقلك».

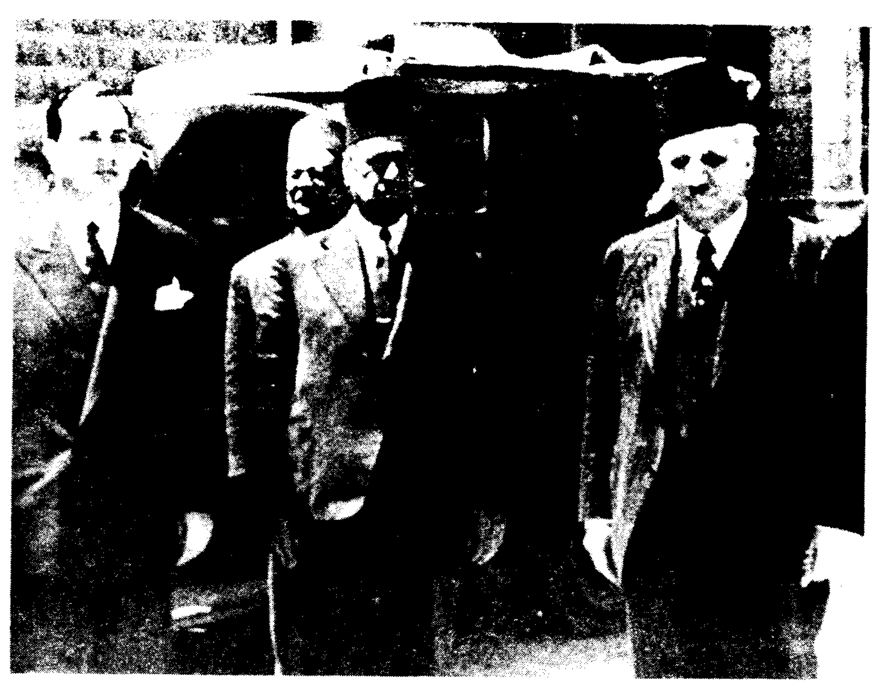
قائد هذه الطائرة الخاصة كان عصام مريود، وهو أحد الضباط الذين أطلقوا نيرانهم على حسني الزعيم ومحسن البرازي، وهو من القوميين الاجتماعيين. وقد صرح لجريدة «أخبار اليوم» القاهرية إثر مقتل الزعيم ونجاح انقلاب الحناوي ووجودي في السجن، انه كان خلال



الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي

الرحلة المذكورة على وشك ان يدخل ويرميني من باب الطائرة ظناً منه أنني كنت من الموافقين على تسليم انطون سعادة.

وصلت الى مطار القاهرة، فلم اجد أحداً في استقبالي، لم أجد كريم



رياض الصلح في دمشق مع خليل رفعت محافظ دمشق ونذير فنصه.

ثابت الذي كان عادة يتنظر وصولي كل مرة أزور فيها القاهرة. ولكنني، كحامل جواز سفر سياسياً طلبت من مدير المطار ان أتصل تلفونياً بكريم ثابت. فحييته وقلت له: «خير ان شاء الله! سمعت ان جلالة الملك يريدني لأمر هام ولهذا حضرت الى القاهرة». فعجبت عندما أجابني كريم ثابت انه لا يعلم شيئاً، وقال لي انه على أي حال سيتصل بالملك فاروق وسيأتي لاصطحابي من المطار.

بعد ساعة وصل كريم ثابت في سيارته ورافقني الى فندق «شبرد» وقال لي في الطريق انه سأل الملك فأجابه انه لم يرسل في طلبي من دمشق. فقلت لثابت: «انه لأمر عجيب، لأن من أرسلني هو رئيس الجمهورية السورية ورئيس وزرائه ولا أفهم سوء التفاهم هذا».

على أية حال، دعانا الملك فاروق الى العشاء الى مائدته. وكان حتى الملك فاروق مستغرباً رحلتي هذه التي لم يطلبها. وكان معنا في العشاء

ابراهيم عبد الهادي رئيس وزراء مصر آنذاك.

صباح اليوم التالي، جاءتني جريدة «الأهرام» مع طعام الفطور، وأحد عناوينها الرئيسية: «تسليم انطون سعادة ومحاكمته وإعدامه». صعقت لهذا الخبر، واتصلت بكريم ثابت وقلت له انني لن أعود الى دمشق بعد الآن لأنني لن أقبل ان أخدع بهذه الصورة المضحكة وغير اللائقة من جانب مسؤولين كبار يعدون ثم ينكثون بوعودهم. عندما قابلت الملك فاروق بعد ساعات ومعه كريم ثابت أبديا لي تأثراً كبيراً لعملية تسليم حسني الزعيم لانطون سعادة.

عدت الى دمشق في طائرة ركاب عادية. ولزمت بيتي أسبوعين فتدخل عدد من السياسيين من أجل أن أعود الى عملي في القصر الجمهوري فرفضت، وتلاسنت مع الزعيم على الهاتف مرة، رفضت بعدها ان أكلمه عندما كان يتصل يومياً مرات عدة.

بعد اسبوعين، كان عندي صبري العسلي ولطفي الحفار رحمها الله، ومخايل اليان. فدخل حسني الزعيم الى البهو الذي كنا نجلس فيه، فوقف الجميع احتراماً له ما عداي، اذ بقيت جالساً لا أنظر إليه، قال لي: «مرحباً نذير» فقلت له: «هل هذه هي النخوة العربية والشرف العسكري، وأنت الرجل التقي تسلم سعادة الذي حميته وألجأته؟».

اقسم بالله العظيم. وهناك شاهد ما زال حياً هو مخايل اليان، ان حسني الزعيم جلس على الكنبة وصار يبكي ويردد: «ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟».

وفي الواقع بدأت أنكمش عن حسني الزعيم بسبب تسليمه انطون سعادة، وبدأ حكم الزعيم يعيش اسابيعه الأخيرة.

كانت الشائعات المعادية للزعيم تكبر وتتفاعل، معظمها غير صحيح. ولكن هذا لم يمنع من ان عهده بدأ رصيده يتآكل، مثلا: أقيمت حفلة

خيرية في فندق «بلودان الكبير» رصد ريعها للهلال الأحمر السوري. وكانت هذه الحفلة تحت رعاية الزعيم وبحضوره. وعرض قلمه الخاص في «المزاد الأميركي» فبلغ مجموع المزاد على قلم الحبر العادي ٦٠ ألف ليرة سورية. وتبارى كل من التجار: رضا سعيد ومحمد الميداني والفرد كتانة في هذا المزاد. ولكنه رسا أخيراً على المستر كامبل مدير شركة «التابلاين» الاميركية.

وكانت هذه السهرة آخر سهرة عامة يظهر فيها الزعيم قبل مصرعه، وانتشرت في اليوم التالي شائعة في دمشق قالت ان الزعيم قبض رشوة من مدير شركة «التابلاين» بمبلغ ٦٠ ألف ليرة.

• ظهرت نهايته

وللحقيقة وللتاريخ، ولذكرى الرجل الذي أصبح بين يدي الله، فان حسني الزعيم لم يرتش من أحد ابان حياته أو حكمه، ولم تدخله ليرة واحدة بالحرام. وقد لقي حتفه المأسوي وهو شبه معدم، وقد وافق البرلمان السوري في ما بعد على تخصيص معاش تقاعدي لأرملته وابنته التي ولدت بعد مقتله.

المهم بدأت علامات النهاية تبدو لنا. وفي احدى المرات جاءني الى مكتبي في القصر الجمهوري عبد الكريم العائدي من جيل الوطنيين الأوائل الذي كانت تربطه صداقة بشكري القوتلي وحسني الزعيم، وقال لي: «يا نذير هناك حركة تدبر ضدكم ويشترك فيها سامي الحناوي». وراح يعطيني اسماء ضباط اشتركوا فعلا بعد ذلك في انقلاب الحناوي ضد حسني الزعيم. فذهبت الى محسن البرازي ونقلت الي ما قاله العائدي. فقال لي البرازي: «بت أميل الى تصديق شائعة المؤامرات هذه لأن الانكليز ونوري السعيد وعبد الاله لم يعد في مقدورهم تحمل حسني الزعيم الذي يقف عثرة في طريق مشاريعهم السياسية والاقتصادية. حاول ان تفهم شيئاً من صداقاتك بأركان

السفارة البريطانية». بدا البرازي حذراً وقلقاً من هذه الشائعات بينما الزعيم منطلق في شتائمه ضد الانكليز وضد نوري السعيد وعبد الاله.

وانتقلت الى لقاء القائم باعمال السفارة البريطانية في دمشق، الذي كان يتحدث العربية بطلاقة. قلت له اننا نرغب في اقامة علاقة افضل مع بريطانيا فارجو ابلاغ الحكومة البريطانية وانا اتعهد بتهدئة تصريحات الزعيم وفوراته الكلامية ضد بريطانيا. ويأتي سببها استفحال داء السكري عليه، فقال لي: «الزعيم مجنون».

تجاهلت هذه العبارة وقلت له: ما رأيك بتدبير اجتماع بين سفيركم والزعيم من اجل تفاهم افضل؟». فقال: «اظن ان هذه الفكرة الايجابية اتت متأخرة وانا انصحك مخلصا بان تسافر فترة ما لانني اعتقد ان الاحوال ستسوء هنا».

خشيت من هذا الكلام، فنقلته الى البرازي في اليوم ذاته فقال لي: «رحنا» وأبلغني انه يتمنى لو يستقيل ويسافر.

كان ذلك قبل اقل من اسبوع من انقلاب الحناوي وسقوط الزعيم.

بعد ظهر يوم ١٣ اب (اغسطس) ١٩٤٩، اي في اليوم الاخير لعهد حسني الزعيم وحياته، كنت في فندق بلودان الكبير اتناول القهوة مع المرحوم الصحافي نجيب الريس. فجاء احد موظفي الفندق يطلبني الى التحدث في مكالمة خارجية لي. ذهبت الى مكان الهاتف. فاذا الشيخ خليل الخوري، النجل الاكبر للشيخ بشارة الخوري رئيس جمهورية لبنان. هو المتحدث على الطرف الاخر، فقال لي الخوري ان والده يدعوني الى العشاء معه في مقره الصيفي في عاليه في ذلك اليوم لان هناك قضية هامة يريد ان يحدثني فيها.

اتصلت بحسني الزعيم في دمشق وقلت له ان بشارة الخوري يطلبني، فقال لي ان اذهب والبي الدعوة.

تحركت فورا باتجاه عاليه فوصلت الى مقر بشارة الخوري حوالي الساعة السابعة مساء، وجدت هناك رئيس جمهورية لبنان وزوجته وعقيلة يوسف سالم والسيدة فتال والشيخ خليل.

جلسنا نتحادث في مسائل عامة لم استطع ان اتبين من خلالها ماذا كان يريده مني الرئيس الخوري، كنت الحظ وكأنهم يؤخرون موعد تقديم العشاء. وكنت الحظ احيانا ان بشارة الخوري وابنه كانا يتهامسان باستمرار، واحيانا اخرى ينفردان في طرف القاعة بضع دقائق ثم يعودان.

• ليلة في عاليه

بعد العشاء استأذنت الرئيس اللبناني بالانصراف فقال لي باصرار انه يريد ان أمضي ليلتي في عاليه، وانه حجز لي غرفة في «فندق جبيلي». تمنعت لانني فعلا اود العودة الى دمشق بسبب ارتباطات سابقة. وعندما اصررت قال لي الرئيس اللبناني: «بصراحة، لقد وقع انقلاب عسكري في دمشق».

اكد لي الرئيس ان الخبر اكيد، ومع ذلك اصررت على العودة الى دمشق، فودعتهم وركبت سيارتي واتجهت نحو الشام.

في الطريق الى دمشق، صرت افكر بسرعة: كيف يمكن ان يقع انقلاب عسكري والجيش كله مؤيد للزعيم؟ لم يكن يخطر لي ان سامي الحناوي قد يجرؤ ويخون صداقته لحسني الزعيم الى درجة اسقاطه وقتله.

منذ دخلت دمشق لم الحظ اي مظهر غير عادي لاي ليل من ليالي دمشق الصيفية. وقد وصلت الى منزلي في محلة عين الكرش دون ان الحظ شيئاً. ثم دخلت المنزل.

كانت الساعة الثالثة صباحا، وما ان بدأت بفك ربطة عنقي وخلع

بدلتي البيضاء حتى دق الباب بعنف، وقبل ان تصل الخادمة الى الباب لفتحه، اطلقت رصاصة على القفل فانفتح الباب على مصراعيه فاعدت وضع ثيابي بسرعة.

فهمت كل شيء فوراً. دخل ثلاثة ضباط ومعهم بضعة جنود يبدو انهم كانوا بانتظاري في مكان خفي الى ان شاهدوني ادخل المنزل. قال احد الضباط: ارفع يديك. فرفعت. سألني الاخر هل احمل سلاحا فنفيت. فقالا «تفضل معنا».

في الوقت نفسه بدأت اسمع طلقات نارية قريبة من منزلي حيث يسكن الضابط ابراهيم الحسيني رئيس الشعبة الثانية وقائد الشرطة العسكرية وهو من الضباط المقربين الى حسني الزعيم. وقد قاوم الانقلابيين، فجرت تلك المعركة بالرشاشات الى ان اعتقل.

ذهبت في السيارة العسكرية مع الضباط والجنود الذين اعتقلوني باتجاه مبنى الاركان العامة للجيش، وكان انذاك في حي الصالحية. فوجدت في الباحة الخارجية للمبنى حسني الزعيم في البيجاما فقط وبقميصه القطني الداخلي، ومعه حسني البرازي في البيجاما ومعهما ابن البرازي خالد وكان ايضا بملابس النوم. كان الزعيم والبرازي حافيين.

الجنود والضباط من الانقلابيين بدت عليهم اثار السكر الشديد والعصبية الهستيرية. الزعيم كان هادئاً. البرازي لم يجد ما يقوله لي عندما شاهدني اترجل من السيارة العسكرية في باحة مبنى الاركان سوى: «شو يا نذير؟ شوفي؟». كنت ارتعد من التأثر، ولكنني سمعت نفسي أجيب ببساطة: «والله لا اعرف! يبدو انه انقلاب». كانت المأساة في الجو والبساطة الاولى على اللسان.

لاحظ احد الضباط الانقلابيين، وهو علم الدين القواص، انني والبرازي نتحادث فاقترب منا وصفعني صفعة وحشية على وجهي، وصفعتين مماثلتين على وجه البرازي جعلتاه يفقد توازنه ويقع أرضاً.

فقال هذا الضابط: يا كلاب، حتى هنا تواصلون تآمركم؟ ». شهر عصام مريود مسدسه يريد قتل الزعيم فورا فعلا صوت الحناوي من بعيد قائلا: «لا ... مو هون ».

ظهر بطل الانقلاب الجديد، صديق الأمس، سامي الحناوي فدار حولنا نحن الثلاثة. كانت رائحة الخمر تفوح منه فتزيدني تقززاً قال لنا وكأنه يشاركنا الحديث: «حكمنا عليكم بالاعدام لخيانتكم وظلمكم للشعب ».

اعتبرت ان هذه هي النهاية التي طالما حذرونا منها ●



سقط الزعيم
ورئيس وزرائه في ليلة دمشقية صافية

● طوقنا الجنود اكثر وأبعدوا خالد نجل حسني البرازي الى آخر الباحة، كنت على يقين أن نهايتي هي هذه مع الزعيم والبرازي. ولكن بارقاً من غريزة البقاء خطفني فوجدت نفسي أحاول الخدعة فقلت للجنود الذين بدأوا يعدون العدة لنقلنا خارج دمشق تمهيداً لاعدامنا: «أريد أن أقول كلمة للعقيد سامي الحناوي». كان الحناوي قد صعد الى مبنى الأركان فقال أحد الضباط: «يا كلب.. أنت أول من يجب ان يعدم».

كان الزعيم هادئاً في شكل مذهل ومتمالكاً نفسه. بينما كان البرازي مرمياً على الأرض ومغمياً عليه من الصفعتين. وكنت أنا أرتعد لاقتراب شبح الموت مني، قال حسني الزعيم بالفرنسية موجهاً كلامه إلي وإلى البرازي: «لا تخافوا، فالانسان لا يموت سوى مرة واحدة».

نظرت الى الزعيم وغمزته في ما يعني انني سأحاول شيئاً ما، فقلت للضباط والجنود من حولي:

«أريد أن أكلم العقيد الحناوي لأن لدي وثائق وأموالا طائلة يجب أن يكون على إطلاع عليها».

نظر الضباط الى بعضهم البعض فقال أحدهم:

«هذا الكلب يحاول ان يخدعنا» ثم وجه الى وجهي صفعتين هويت

على إثرهما على الأرض.

هنا أطل الحناوي مرة ثانية، هذا الرجل كان بالأمس يرقص مهرجاً للزعيم بعدما ربط غطاء المائدة على خصره الضخم، وقال وكأنه يذكر شيئاً عادياً: «خلوا إلي نذير، وخذوا هذا وهذا (يقصد الزعيم والبرازي) واقتلوهما».

إقتاد الجنود الزعيم والبرازي وعلا صوت خالد البرازي بالبكاء، إذ لم يكن عمره يتجاوز السادسة عشرة. وإلى الآن، وقد أصبح خالد رجل أعمال ناجحاً في أحد الدول الاسكندنافية: يجهش بالبكاء كلما شاهدته.

صعدت مع الحناوي الى أحد مكاتب الطبقة العلوية في مبنى الأركان، فقال لي: «هات لشوف هالأسرار وهالأموال» قبل أن أجيب غادر الغرفة ربع ساعة ثم سمعت بعد ذلك جلبة الجنود والضباط يعودون بعدما أعدموا الزعيم والبرازي. وقد سمعت في صفاء ذلك الليل الدمشقي الصيفي الساكن صوت طلقات النار البعيدة التي ذهبت بحسني الزعيم وبمحسن البرازي.

ثم دخل الحناوي مرة أخرى ومعه قبعة حسني الزعيم العسكرية التي حملها الجنود من منزله عندما إعتقلوه، داس الحناوي القبعة بقدمه. ثم دخل الجنود والضباط العائدون من عملية الاعدام وقالوا للحناوي: «إنتهى الأمر، قتلناهما». فقال الحناوي موجهاً الكلام إلي: «قتلناهما» إذن إنتهت حياة الزعيم والبرازي في الثالثة والربع من فجر ١٤ آب (أغسطس) ١٩٤٩.

إلتفت إلي الحناوي بعدما خرج الضباط والجنود، وعاد إلى طلب الوثائق والأموال المزعومة مني، فأجبته بأنني في حالة عصبية متوترة وليترك الأمر الى الصباح.

طلع فجر جديد، وعهد دام جديد على دمشق. وأخذني الانقلابيون

في سيارة عسكرية مع ابراهيم الحسيني وضابط آخر من جماعة الزعيم هو عبد الاله رسلان، الى مطار المزة العسكري حيث هناك سجن صغير لتأديب الجنود الموقوفين لمخالفات مسلكية.

مع بدء طلوع الشمس، كنا نحن الثلاثة، الحسيني ورسلان وأنا، في زنزانة واحدة، وكنا نسمع بعض الجنود من حراسنا يقولون لبعضهم البعض وقد يكون ذلك لتخويفنا: «هناك بعض الخونة في هذه الزنزانة سنعدمهم اليوم، أما إبراهيم الحسيني فسنقطعه إرباً». وكان الحسيني يضحك ورسلان يصمت وأنا أتعمق أيضاً في خوفي المزمن، ثم أضاف الجنود: «يوجد في الزنزانة صحافي هو عديل حسني الزعيم (يقصدونني) سنعدمه اليوم». وكنت أرتعد كالريشة وأسمع اصطكاك أسناني بوضوح.

كنا نسمع من الجنود أن إستشارات سياسية قام بها الحناوي إنتهت بتشكيل حكومة على النحو التالي: هاشم الاتاسي رئيساً خالد العظم للمالية، ناظم القدسي للخارجية، اللواء عبدالله عطفه للدفاع الوطني، عادل العظمة وزير دولة، فيضي الأتاسي للاقتصاد الوطني، فتح الله أسيون وزير دولة، سامي كبارة للصحة، ميشال عفلق للمعارف، وأكرم الحوراني للزراعة.

كنت لا أزال أرتدي بدلتي البيضاء التي لبستها وأنا في منزل رئيس جمهورية لبنان، وقد أصبحت البدلة رمادية حتى الآن، وعندما أحضروا الغداء عند الظهر أكل الحسيني بشهية رائعة بينما لم أتمكن من فتح فمي لشدة الخوف.

• باب الآخرة

فتح بعد ذلك باب السجن ودخل ضابط أشقر اسمه أنور تامر، كنت قد قدمت له في الماضي خدمة، إذ توسطت لدى الزعيم لترفيعه

لأنه فعلا كان عنصرا ممتازاً، وهذا ما شهد به الزعيم عندما قبل وساطتي دون تردد. كان الزعيم آنذاك قائد جيش ولم تكن فكرة الانقلاب قد راودته بعد.

قال لي أنور تامر: «لك فضل علي، وقد جاؤوا في الصباح لأخذك الى الاعدام لأنهم كشفوا انك خدعتهم في موضوع الأسرار والأموال. ولكنني رفضت تسليمك إلا بمذكرة رسمية، ثم جاؤوا مرتين بعد ذلك لأخذك ورفضت. لا تخف يا نذير مادمت هنا في عهدتي».

في المساء، جاء الجنود واقتادوا الحسيني ورسلان خارج هذا السجن، وبقيت وحدي، طبعاً لم أنم (الضابطان أعيدا الى قطاعات بعيدة من الجيش بعد أيام من هذا التاريخ).

في الصباح جاء ضابط اسمه أكرم الديري، وأخذني في سيارته العسكرية وأنا في إنهيار من الخوف لأنني كنت أشعر أن شبح الموت لم يبارحني بعد نهائياً. لم يقل هذا الضابط كلمة خلال سيرنا، الى أن سألته: «الى اين تأخذني؟» فقال: «الى سجن المزة».

وصلنا الى سجن المزة، وعندما دخلته كان فيه مساجين معتقلين بأمر حسني الزعيم وصاروا يشتمونني وينهالون علي بكل الألفاظ النابية. كان بينهم النائب فيصل العسلي الذي، لدهشتي، وجدته يدافع عني أمام السجناء. وأظن انه لولا العسلي لقطعني هؤلاء إرباً.

لقد رد العسلي لي الجميل بعدما حميته من بطش الزعيم، فحماني من خطر حقيقي في هذا السجن الرهيب.

في اليوم التالي وضعوني في زنزانة إنفرادية بعدما حلقوا شعري «على الزيرو»، ثم اصطحبوني الى مكتب كان فيه صف ضابط شركسي اسمه عزت، ثم المقدم صلاح البزري شقيق عفيف البزري، وقد عينه الحناوي رئيساً للشعبة الثانية.

أعاد البزري طرح موضوع الأسرار والأموال المزعومة فقلت له انني لا أملك ما ادعيت انني أملكه إلا كي أنجو بحياتي ليلة إنقلاب الحناوي، هددني البزري بالضرب، ولكنه لم يفعل وأصر علي ان اسلمه هذه الأسرار والأموال، وقال لي إنهم فتشوا بيتي ولم يجدوا شيئاً بالطبع.

أعطاني البزري مهلة الى اليوم التالي، وتكرر السؤال والجواب، فقال لي ان لديه أمراً باعدامي، هنا ثارت ثائرتي. إذ أن أعصابي المنهارة، بفعل كل ما حدث وما شاهدت وبحكم حالتي المزرية بهذه البدلة التي كانت بيضاء والليالي الطويلة التي لم أنم فيها، أصبت بعارض فصرت أصرخ به أن يأخذني للاعدام فوراً لأنني لم أعد أطيق هذه الحياة.

كنت بالفعل صادقاً. كنت أتمنى الموت فعلا. وبالفعل، أخرجني صلاح البزري الى باحة السجن ووضعني أمام حائط وعصب عيني وأوقف أمامي فرقة جنود لترميني بالرصاص... ثم سمعت الرصاص... ثم أفقت بعد يومين لأجد نفسي في غرفة مستشفى تابعة لسجن المزة تطل على الحديقة.

كانت تمثيلية: هم أطلقوا النار في الهواء وأنا غبت عن الوعي يومين. ثم جاءني الصحافيان نجيب الريس والحاج رشيد الملوحي، رحمهما الله، كما حضر بعض الاصدقاء منهم حيدر الايوبي وصاروا يواسونني ويتوسطون لدى الحكومة الجديدة. وان وزراء عدة من أصدقائي كانوا يدافعون عن حياتي لدى عسكريي الانقلاب الثاني.

وقد سمعت بعد ذلك ان الرئيس هاشم الأتاسي، رحمه الله، هدد بالاستقالة والعودة الى منزله في حمص إذا تم إعدامي، لأنه لم يعد يريد أن تسيل الدماء في عهده مرة جديدة. مضت أربعة أشهر على وجودي في سجن المزة ولم أخضع للتحقيق، بعد ذلك نقلوني الى سجن القلعة

المدني، ثم سمعت أنني أحلت على المجلس العدلي، عوملت معاملة ممتازة في هذا السجن حيث اعطوني غرفة خاصة نظيفة مع راديو ونرجيلة.

وللمصادفة وسخرية التاريخ، جاءني في رابع أسبوع لي في سجن القلعة الضابط إبراهيم الحسيني، بعدما كان قد أعيد الى الجيش، وأسر لي أن أهيء أغراضي للخروج من السجن بعد أيام لأن إنقلاباً يهيأ ضد الحناوي وسينفذ بعد يومين.

لم أصدق أذني بعد يومين عندما سمعت إطلاق نار كثيفة، ان ما وعد به الحسيني قد وقع. وفعلا تم الانقلاب الثالث بقيادة العقيد أديب الشيشكلي واعتقل سامي الحناوي.

في الصباح الأول لانقلاب الشيشكلي جاءني إبراهيم الحسيني الى السجن وهو يضحك وقال لي: «يا لله تفضل الى الحرية». قلت للحسيني: «ان هناك شائعات وتلفيقات ضدي فأتمنى أن أبقى أياماً أخرى في السجن وأن أحال الى المجلس العدلي، لذلك أرجوك اخدمني واطلب إحالتي حتى أخرج بالبراءة التي أستحقها». وهذا ما حدث، فشكلوا مجلساً عدلياً في اليوم التالي برئاسة القاضي عبد الوهاب الطيب وعضوية إثنين من العسكريين. وكان النائب العام المرحوم سامي الحكيم، وتولى الدفاع عني المحامي ظافر القاسمي والمحامي الفلسطيني المشهور هنري كتن.

بعد جلستين برئت بالاجماع من تهمة قبض عمولة من صفقة سلاح فرنسي.

صفقة سلاح فرنسي

كان الزعيم حسني الزعيم، بحكم دراسته العسكرية في فرنسا، يفضل ان يقوي الجيش السوري بسلاح فرنسي. وكانت له في ذلك اعتبارات اخرى هي ان معظم اسلحة الجيش السوري وتدريباته كانت لا تزال

فرنسية. وكان السفير الفرنسي. هو الذي جاء الى الزعيم بالفكرة الاولى للتسلح من فرنسا وابلغه ان الحكومة الفرنسية ترحب بأي بعثة عسكرية سورية تختار السلاح الذي يحتاجه الجيش السوري.

طلب مني الزعيم ان اذهب مع الوفد العسكري، ومعي ادمون حمصي السفير السوري المعين حديثا في لندن انذاك. ونلتقي بالسفير السوري في باريس عدنان الاتاسي، نجل هاشم الاتاسي، وسلمني الزعيم رسالة مكتوبة الى رئيس جمهورية فرنسا انذاك فنسان اوريول. وقد ترأس الوفد العسكري المقدم عزيز عبد الكريم وهو من افضل ضباط المدفعية العرب.

وبعد سقوط الزعيم واعتقالي، اتهمني نظام سامي الحناوي بانني تقاضيت عمولة على صفقة السلاح الفرنسي. ولذا رفضت طلب ابراهيم الحسيني الذي جاء ليخرجني من سجن القلعة بعدما قلب اديب الشيشكلي نظام الحناوي، وطلبت احالتي على المجلس العدلي ليبت في التهمة الموجهة الي زورا. فعقد المجلس العدلي برئاسة القاضي عبد الوهاب الطيب وعضوية العقيدين عز الدين البوشي وحسام الدين عابدين والاستاذين ماجد الغزى واحسان وصفي. اختلت هيئة المحكمة ساعة ونصف ساعة ثم قضت ببراءتي في اجماع الاصوات من تهمة عقد صفقة اسلحة غير قانونية وقبول عمولة عليها.

طبعا، شرحت ان الوفد العسكري المرافق لي هو الذي فاوض في موضوع الصفقة، وطلبت شهادة عزيز عبد الكريم رئيس الوفد العسكري، ووزير المالية في عهد الزعيم حسن جبارة رحمه الله، واللواء عبدالله عطفة وزير الدفاع في ذلك العهد، وقد شهد الجميع بانني عملت لانجاح الصفقة دون ان اتناول اي عمولة، خاصة وان قبض العمولة انذاك كان امرا مهينا ولم تكن العمولة مؤسسة تحمل الاحترام الى من يقبضها. كما في هذه الايام.

بعدما تلي الحكم ببراءتي، اخبرت هيئة المحكمة بالموضوع الصحافي الذي نشرته عني انذاك مجلة عربية، في انني كنت اخبىء كنزا من الجوهرات والاموال، التي كانت تخصني وتخص الزعيم، تحت بلاط منزلي، وان الشرطة العسكرية السورية عثرت على صندوق الجوهرات والاموال التي تبلغ حسب خبراء فرنسيين جاؤوا من باريس، وفقا لرواية المجلة طبعا، خمسة ملايين ليرة.

ولان الخبر خيالي مئة في المئة، فلا كنز عندي ولم يأت احد لقلع بلاط منزلي، قلت للمحكمة مازحا،: «سيدي الرئيس، هذه المجلة تقول ان الحكومة عثرت على مجوهرات واموال. اما وقد برأتموني فهل ستعيدون إلي هذه الجوهرات؟». فضجت هيئة المحكمة والقاعة بالضحك.

• الدقائق الأخيرة

بقي أن أقول بضعة أمور تتعلق بالدقائق الأخيرة لحسني الزعيم ومحسن البرازي رحمها الله، وقد رواها لي شهود. رأوا واقعة هذه



بلودان: الوداع

التصفية الجسدية الرهيبة لرجلين لم يكونا يحملان لوطنهما سوى الرغبة في الاصلاح والتقدم.

الضباط الثلاثة الذين نفذوا وجنودهم الحكم الاعنباطي الذي أصدره سامي الحناوي دون تحقيق أو محاكمة أو أي تمثيلية لتحقيق او محاكمة، هم عصام مريود الذي شهد بعد أشهر مقتل سامي الحناوي على يد محمد أحمد حرشو البرازي ابن عم محسن البرازي في محلة المزرعة في بيروت في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٠، وضابط اسماعيلي هو محسن الحكيم، وضابط درزي لم أعد أذكر اسمه.



الزعيم وعقيلته وخلفهما سفير اسبانيا وكريمتاه ونذير فنصه خلف الزعيم بلباس السموكن

وقد قال صبري العسلي، رحمه الله (من رؤساء الحكومات السابقين) عندما جاء لتهنئتي بعد خروجي من السجن، ان حسني الزعيم عندما انزل من السيارة مع محسن البرازي على طريق المزة المقفرة لإعدامهما قال للجنود الذين شهروا بنادقهم ورشاشاتهم: «انا حسني الزعيم، انا الذي جعلت لكم كرامة، وللجيش هيبة، تقتلونني بدلا من قتل هؤلاء الكلاب السكارى؟». وبالفعل ادار الجنود اسلحتهم صوب الضباط الثلاثة واشتبكوا بالايدي، ثم انهمرت النيران على الزعيم والبرازي.



الزعيم بين محسن البرازي وعبد الحميد السراج

كان يمكن لوديع بشور، قائد قوات العشائر، ان يغير مجرى التاريخ لو قاوم الانقلابيين. ولكن لم يفعل لسبب لا يعرفه احد. ومع ذلك لم ينج من الاعتقال والاهانة على يد جماعة الحناوي، لان ٩٩ في المئة من افراد الجيش كانوا مع حسني الزعيم، ولسبب لا يعرفه احد، ان حرس منزل حسني الزعيم الخاص لم يقاوم ايضا ومعظم افراده كانوا من الشركس. وبالاموال التي دفعها نوري السعيد الى الحناوي تمكن هذا الاخير من شراء هذا الحرس المؤلف من ثلاثين عنصرًا. وقد جاء قائدهم الشركسي ليل الانقلاب ضد الزعيم وربط جميع اسلحة الافراد بسلسلة حديدية واحدة عندما كانت الرشاشات والبنادق موضوعة في الخزائن المفتوحة الخاصة المعروفة لدى اي من الحرس، لذلك لم يتمكن احد من حمل بندقيته عندما اقتحم جماعة الحناوي منزل الزعيم. وقد قبض هذا القائد الشركسي وحده مبلغ الف ليرة ذهبية دفعها له اسعد طلس عديل الحناوي وعقله المفكر.

وقدم هذا القائد الشركسي الى الانقلابيين خارطة الالغام ضد الافراد التي كانت مزروعة في حديقة منزل حسني الزعيم. لذلك دخل

جماعة الحناوي منزل الزعيم دون مقاومة، وفورا اطلقوا رشاشاتهم على الباب، فهرع الزعيم اولا الى السطح، وقد اضطر الى النزول، لان النيران صوبت اليه وهو فوق، ثم امسكوا به وهو يحاول النجاة من باب جانبي.



لقد استمر اطلاق الرصاص على الزعيم زهاء خمس دقائق، كان خلالها يخترق جسمه كخيط من نار، وقد قام الضباط الثلاثة بدوس جثته بارجلهم.

وفي ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠، عثر على جثة حسني الزعيم

اخيرا مدفونة في تابوت خشبي مكسر تحت حجارة كبيرة في منطقة ام الشراطيط بالقرب من نهر الاعوج. وامكن التعرف عليها من سروال بيجامته ومن اثار رصاصة في خاصرته كان اصيب بها في عهد الانتداب الفرنسي.

نقلت الجثة الى المستشفى العسكري في المزة تمهيدا لنقلها الى مقبرة آل الزعيم. وبعد يومين جاء الشيخ صلاح الدين الزعيم شقيق المرحوم حسني الى المستشفى وتعرف على الجثة، ثم جرى تحنيطها وتسليمها فنقلت في سيارة عسكرية الى مقبرة الاحداح حيث دفنت في احتفال ديني بسيط حضره اهله واقاربه فقط.

وكان مجلس الوزراء قد اتخذ قرارا يقضي بتأليف لجنة من كبار الموظفين لجرد موجودات دار الزعيم ووضع قائمة بها، ووضع جميع الاوراق والاموال في صناديق تختم بالشمع الاحمر ورفع بيان بتفاصيل الجردة الى مجلس الوزراء.

بعد مدة قصيرة اعلنت اللجنة انها لم تعثر في بيت الزعيم الا على ٣٦ الف ليرة سورية حولت الى خزينة الدولة برسم الامانة.

وهكذا. قضى حسني الزعيم وهو شبه فقير ولم يخلف اي ثروة تذكر حتى ولا بيت يملكه ●

عصا الماريشالية

بعد سقوط حسني الزعيم ومقتله سلم وزير الداخلية السوري الى مجلس الوزراء عصا الماريشالية المرصعة التي كان يحملها الزعيم واشتهر بها في صوره الصحافية. وأودعت العصا اولا صندوق الدولة ريثما يبت في امرها. وبعد حين وضعت في المتحف الحربي في دمشق لفترة طويلة، ثم رفعت منه.

والحقيقة ان هذه العصا ليست مرصعة وليست تلك التحفة المكنونة،



منزل حسني الزعيم: من الرئاسة الى الاعدام

وقد اشتراها المقدم عزيز عبد الكريم عندما كنا معا في فرنسا نفاوض الفرنسيين على صفقة سلاح لسورية. وكنّا معا عندما اشتريناها من احد المحلات العادية لبيع الاوسمة. ودفعنا ثمنها ٥٠٠ فرنك فرنسي، والاحجار التي فيها لا قيمة لها، والمعدن الذي عليها يشبه معدن الاوسمة بصورة براقة تعطيه لمعانا خاطفا اكثر بكثير من ثمنه الاصلي...



ارملة حسني الزعيم بعد ايام من مقتله.

مجرى الحوادث المتأتية من الانقلاب في دمشق بما يتعلق بالحكومة العراقية ومحاضر المقابلات المختصة



نوري السعيد

تعيين جمال بابان وزيرا مفوضاً في لبنان.

في صباح يوم ٣٠ مارس ١٩٤٩ ورد خبر تلفوني من الوزير العراقي المفوض في عمان احمد الراوي مفاده ان حوادث هامة وقعت في دمشق اختل على اثرها الامن وانقطعت الاتصالات التلفونية واللاسلكية مع سوريا وطلب اتخاذ ما يلزم لارجاع العائلة المالكة التي كانت في طريقها الى دمشق نظرا لتلك الحوادث. وعلى اثر هذه الاشارة التلفونية اتصل وزير الخارجية فورا بالسفارتين الاميركية والبريطانية لاستقصاء اخبار

حوادث دمشق ففهم منها بانه قد حدث في دمشق حركة انقلابية من قبل احد قواد الجيش السوري الذي اعتقل رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وقسما من الوزراء وبعض النواب ومُنع التجول.

كان مقررا ارسال السيد جمال بابان وزيرا مفوضاً للعراق في لبنان فعند ورود هذه الاخبار استدعي السيد بابان فورا وسافر يوم الجمعة المصادف ١ نيسان الى بيروت على ان يبقى في دمشق مدة مناسبة لاستطلاع الحالة وللتوصل الى اسباب وماهية هذا الانقلاب. وقد استصحب معه كتابا من فخامة رئيس الوزراء الى رئيس مجلس النواب السوري دولة الشيخ فارس الخوري وفيما يلي نص الكتاب المذكور:

فخامة الشيخ الجليل فارس بك الخوري

رئيس مجلس النواب السوري المحترم

تحية مباركة وسلاما طيبا

لقد اقلقنا كثيرا ما ورد الينا من اخبار الاحداث التي وقعت اخيرا في سوريا العزيزة. ولكن شعورنا بصدق وطنية القائمين بتلك الاحداث والسائرين بالامور في الوقت الراهن قد خفف علينا هذا القلق وخصوصا ما علمناه من الرجوع اليكم في تسوية المشاكل فان ما نعهده في فخامتكم من الحنكة والحكمة ليطمننا بالنتائج الطيبة للبلاد ان شاء الله.

وقد انتهزت فرصة سفر وزير العراق المفوض في لبنان فقدمت كتابي هذا على يده. وارجو ان يكون موضوع ثقتكم، وانا لحاضرون لاداء ما ترونه واجبا علينا نحو القطر الشقيق. وأسأل الله تعالى الخير للجميع.

وتقبلوا فائق الاحترام،

التوقيع نوري السعيد

ونظرا لاحتمال عدم تمكن السيد جمال بابان من مواجهة دولة فارس الخوري سواء لاستقصاء اخبار الحالة او الوقوف على رأي دولته الشخصي فقد تقرر ان يوفد من بيروت السيد عوني الخالدي الذي كان يقوم عندئذ بمهمة تمثيل العراق في مؤتمر لجنة التوفيق وذلك لسبق معرفته الشخصية بدولة الخوري عند وجودهما في هيئة الامم المتحدة في اميركا. وقد وردت البرقيتان التاليتان من السيد جمال بابان والسيد عوني الخالدي.

دمشق ١ نيسان ١٩٤٩

برقية السيد جمال بابان الى نوري السعيد خارجية - بغداد

ما يلي الى فخامة رئيس الوزراء من معالي جمال بابان وصورة منها الى رئاسة الديوان الملكي:

وصلت اليوم ظهرا المزة واتصلت فورا تلفونيا بالزعيم حسني وطلبت مقابلته فضرب الموعد الساعة الثانية بعد الظهر في مقره فاستصحبت وزيرنا المفوض فاستقبلني بجفاوة واستعداد سابق، قلت له قبل كل شيء انني موفد من قبل الحكومة العراقية لمواجهتكم ومواجهة رئيس مجلس النواب الذي احمل اليه كتابا بصفته رئيس الهيئة التشريعية غير اننا سمعنا ليلا بحل المجلس فلم يتمكن فخامة رئيس الوزراء من تغيير الكتاب واوصاني تقديمه اليكم كأنه موجه لكم فارجو قراءته قبل الدخول في البحث. قلت له ان العراق حكومة وشعبا يعطف على شقيقته سوريا ويتعقب الحوادث بكل اهتمام ويسرني ان ابلغكم عن لسان الحكومة العراقية ان العراق مستعد لتقديم اية مساعدة تحتاجها سوريا من اي نوع كان. قلت يهمنا ان تعلم ايضا ماذاتنوون القيام به بعد هذا الانقلاب. فاجاب قائلا ارجو تقديم احتراماتي الى سمو الوصي المعظم وفخامة نوري السعيد راجيا منهما ان يعلما انني لم اقم بهذه الحركة بأي تأثير من الخارج وانما قام الجيش بها نتيجة لتذمر

الشعب والجيش وكذلك من تصرفات رئيس الجمهورية والحكومة القائمة وفسح المجال لاصحاب المبادىء الهدامة وللهجمات العنيفة التي قام بها المجلس ضد الجيش. وان الشعب مرتاح جدا لهذا الانقلاب. ولما سألته عن الاسس التي ينوي ان يعدل الدستور بموجبها اي هل سيكون نظام الحكم جمهوريا ام ملكيا. اعتذر عن الجواب قائلا سوف تسمعون بهذا الخبر في حينه لأنني سوف لا أسمح بانتخاب اي نائب يعارض مبدئي وعند انتقالنا للسياسة الخارجية اجابني انه قابل الوزير الاميركي والوزير البريطاني واخبرهما باستعداده لعقد معاهدة بينهما على انفراد على اساس التعاون والاشتراك بمشروع مارشال، نصحته بضرورة التعاون مع الرجال المخلصين من سوريا اجابني ان فارس الخوري لا يريد التعاون معنا وهو اي الزعيم باتصال الان بعادل ارسلان لادخاله في الوزارة. ولما سألته اذا كان لديه مانع من مواجهتي لفارس الخوري وعادل ارسلان وافق على ذلك.

مقابلة بابان لفارس الخوري

بعد خروجي ذهبت فورا لمواجهة فارس الخوري الذي وجدته طريح الفراش وقد قابلني. اخبرته عن مقابلتي مع الزعيم بعد ان سلمته كتاب فخامة رئيس الوزراء فاجابني بأنه بلغ سنا كبيرا فلا يجوز لنفسه ان يشترك بعد الان بحكم لا يعرف ماذا ستكون نتيجته.

وأخبرني ان الزعيم قابله مرتين وقد ساعده هو بكل قواه لتخفيف الوطأة وتوطيد الحالة وذلك بتكليفه شكري القوتلي بالاستقالة غير ان هذا رفض مصراً ومجيباً إياه انه لا يستقيل ما دام فيه عرق ينبض هذا مع العلم ان اكثرية الشعب مرتاحة جداً من ابعاد القوتلي من الحكم وان الحالة هادئة كأن لم يحدث شيء وعندما اخبرت فارس الخوري ان الحكومة العراقية تحبذ تحمله مسؤولية تأليف الوزارة انقاذاً للموقف ولحسن نوايا، نحو العراق اجابني انني اعلم ذلك وأعلم ان سمو الوصي

المعظم يؤيدني أيضاً ولكني يؤسفني أن أخبركم ان هذا الأمر أصبح مستحيلاً بالنسبة لي ولم أتمكن من مقابلة عادل ارسلان لأنه كان على موعد مع الزعيم يومه وحتى الآن معه.

الزعيم ينوي حل جميع الأحزاب والمنظمات وقد صرح لي بذلك.

استنتاجاتي الشخصية هو انه وان كان الزعيم يتفاوض مع عادل ارسلان وفارس الخوري لتشكيل الوزارة غير اني فهمت من مقابلتي اياه انه لا يريد تشكيل أية حكومة ما لم تتم الانتخابات عندئذ تتشكل من اشخاص يحوزون ثقته او قد يشكلها هو بنفسه ويحتفظ بوزارات الداخلية والدفاع ويشترك ان أمكن معه عادل ارسلان وغيره.

لقاء مع الكيخيا

واجهت رئيس حزب الشعب السيد رشدي الكيخيا في اوريان بلاس فلم احصل منه على رأي بسبب تخوفه.

ساقابل اليوم بعض ارباب الصحف بتحفظ تام للوقوف على الرأي لسائد.

سأسافر صباح غد الى بيروت لمواجهة المسؤولين والوقوف على رأيهم وعند رجوعي سأتعشى مع الزعيم بناء على دعوته لا -ئناف المذكرات بصورة اوسع وقد رجاني الزعيم عدم اذاعة شيء.

أنا أرجوكم الايعاز للصحف والاذاعة العراقية لتأييده على قدر الامكان انتظر تعليماتكم لارشادي عند استئناف المذاكرة مع الزعيم وأرجو الابراق لبيروت التي اتوقع البقاء فيها ٣ أيام.

دمشق ١ نيسان ١٩٤٩

برقية السيد عوني الخالدي خارجية - بغداد

«مايلي من عوني الخالدي حسب تعليماتكم البرقية قابلت صباح الجمعة

دولة فارس الخوري بحضور معالي الوزير المفوض مدة ساعة وربع وكانت المقابلة ودية للغاية تحدث فيها دولته بصراحة وصميمية وتفصيل رغم كونه مريضاً في الفراش ولكن لم يظهر لحسن الحظ ان طول الكلام والمقابلة اتعبته، سألته عن رأيه في الحالة السياسية فاستهل كلامه بقوله انه يعتقد ان الانقلاب الاخير هو اعظم كارثة حلت بسورية منذ زمن عبد الحميد لأنه لم يسبق في جميع البلاد العربية ان قامت حركة عسكرية شملت اعتقالاتها رئيس الدولة ولأنها تخلو من المشروعية وترفع مصدر السلطة القانونية، سألته عن اسباب الحركة فقال هو تذمر الجيش من سوء الحالة عموما وسوء تصرف رجال الحكم وتفشي الرشوة كما يدعون. اضاف ان الحركة داخلية بحتة لا علاقة لها بالدول العربية ولا الاجنبية ولم يسبقها اتصال ما بتلك الدول. قال قبل يومين زار الزعيم قائد الحركة واكد له ما ورد اعلاه وبين رغبته ان يشكل الخوري وزارة جديدة تستلم الحكم على ان يحتفظ بوزارة الدفاع فقط لاحد اعوان الزعيم. سأل دولته الزعيم ماهي اهداف الحركة الداخلية فاجاب الزعيم انهم ينوون سن دستور جديد بعد ان يحل مجلس النواب الحالي وينتخب اخر مكانه فاعتذر دولته عن تسلم المسؤولية وعندما سألته عن السبب اجاب انه كان طيلة حياته مدة ٦٠ سنة في الكفاح ولم يقم بعمل غير مشروع او يوجب اللوم. ويعتقد اضطلاعه بالحكم غير مشروع الان لأن هذا لا يمكن ان يجري لا بواسطة رئيس الجمهورية ولا المجلس النيابي.

اضاف انه قال للزعيم ان الذي يقبل الحكم الان يجب إن يكون من طراز الميالين للمؤامرات وهو اي الخوري ليس منهم. من جهة اخرى يعتقد دولته ان الانقلاب لا يمكن محوه وتغييره الا بالقوة وان وجدت القوة اللازمة لتغيير وضع كهذا وهي غير موجودة فليس من المستحب مطلقاً استعمالها لأن استبدال الوضع بعهد اخر يؤدي الى حرب اهلية

وسفك دماء ولذا فهو لا يوافق على اي شيء يرمي الى مقاومة الحركة بالقوة ويعتقد ان افضل طريقة لتلافي الامر الواقع هو استقالة رئيس الجمهورية ليمكن عندئذ ان تصبح الحركة والاعمال التي تليها مشروعة. ولهذا الغرض قابل دولته رئيس الجمهورية في المعتقل لاقناعه بذلك ولكنه رفض بتاتا ولدى هذا التصلب ولعدم امكان تشكيل وزارة حتى الان فقد اخبر الزعيم دولته انه سيحل المجلس وعند عدم امكان تشكيل وزارة من المدنيين فسوف يشكلها هو واعوانه الضباط على ان المجلس لم يحل حتى الان والمباحثات جارية لتشكيل وزارة ربما برئاسة الامير عادل ارسلان فان سبعين نائباً اجتمعوا امس في اوتيل اوريان وقرروا التعاون مع الانقلاب. سألت دولة الخوري بك عن تقبل الشعب للحركة فاجاب ان تدبيرها الحكيم قد اثار اعجاب الشعب ولهذا ولأسباب اخرى اهمها تذمرهم من الرجال السابقين فان الشعب قد عاضد الحركة تماما ولكنه يعتقد ان من الوجهة السياسية ليس هناك خطة واسعة منظمة لتأييده بعمله اكثر من اقصاء الرجال السابقين ووضع دستور جديد. من كلامه حول السياسة والانقلاب فهمت ان موقفه هو شخصياً انه لا يوافق على الحركة لأنها غير شرعية ولكن في نفس الوفت لا يعارضها خوفا من سفك الدماء ودولته مسرور من عدم اراقة الدماء مع العلم انه يعلم انه لو اعلن معارضته شخصياً لها فان له من الاحترام والانصار ما يكفل المعارضة والمقاومة ولكنه لن يفعل هذا. قلت له ان العرب كما يعلم يعلقون اكبر الاهمية على ارائه ولذا فاود ان اعلم ما هي الميول والاتجاهات التي تهم العراق في الحركة فقال انه يعتقد ان القواد ميالون الى تقارب وتعاون مع البلاد العربية وخصوصا العراق وتعاونا وثيقاً فان رئيس الجمهورية يتقزز كثيراً من شرق الاردن وسوريا الكبرى وكان شديد المعارضة لها الامر الذي حاول دولته تخفيفه عند عودته من اميركا وقال لهم ان تقززهم هذا يسبغ على القضية اهمية اكثر من اهميتها ويفرق بين سورية من جهة والعراق وشرق

الاردن من جهة اخرى.

سألته ما هي وسائل التقرب والتعاون فقال هي تأييد الانقلاب رغم انه لم يظهر له حتى الان ان لهم خطة واضحة في هذا الباب. سألته ما هو اتجاه الحركة في السياسة الخارجية فأجاب ان الزعيم قال له انه يحارب الشيوعية ويتعاون مع دولة اميركا وبريطانيا ويرغب في الاستفادة من مشروع مارشال وهذا بالاضافة الى تعاونه الوثيق مع العراق والدول العربية الاخرى سألته هل لديه رسالة اوصلها للحكومة العراقية فقال خير ما يمكن ان يقوم به العراق الان هو ان يساند الانقلاب خارجيا بمعاضدته والتعاون معه وداخليا في افساح المجال له في ان يحافظ على الامن والطمأنينة وهذا وقع حتى الان. قلت له اني قد اتيت من بيروت لمقابلته وسأعود اليها الان لاتمام مهمة لجنة التوفيق ولكن سأكون تحت تصرفه وحاضرا للمجيء الى دمشق متى شاء في الايام القليلة المقبلة قبل عودتي الى بغداد.

الحكومة العراقية والاتحاد - موقف مصر

وفي ٣ نيسان وردت برقية من مفوضيتنا في دمشق تفيد بأن سعادة الامير عادل ارسلان قد اخبر الوزير العراقي المفوض في دمشق بوجود رغبة لدى مفكري سوريا بتوحيد سوريا والعراق دون شرق الاردن على ان يبقى لكل قطر استقلال ذاتي. وعلى اثر ذلك ابرقت الحكومة العراقية في ٥ منه الى دمشق برقية هذا نصها:

« العراق يرحب مبدئيا بالفكرة على ان تأتي عن طريق قانوني مشروع ولا بد من درس اية مقترحات تأتينا في هذا الباب قبل البت فيها ».

ثم ابرقت وزارة الخارجية برقية الى وزير العراق المفوض في دمشق في نفس اليوم تطلب فيها الاتصال بفخامة السيد طه الهاشمي واستطلاع

رأيه في الموقف وعما ينصح الحكومة العراقية به وكذلك بدولة السيد لطفي الحفار.

وفي نفس الوقت ابرقت وزارة الخارجية الى المفوضية العراقية في مصر تطلب اليها ان تتصل بالجهات المسؤولة وتحيطهم علما بان الحكومة العراقية مستمرة في الاتصال مع رجال سوريا المفكرين امثال فارس الخوري وعادل ارسلان وهي لا تزال تقف موقف المنتظر المتريث من الوضع في سوريا وفي الوقت نفسه تحذر الحكومة العراقية من تدخل جهات غير مسؤولة في الامر كالأمانة العامة للجامعة العربية اذ ان تدخل هذه الجهات قد يربك الوضع ويؤدي الى نتائج غير محمودة. وكان جواب هذه البرقية الى مصر ان القائم بالاعمال العراقي في القاهرة قابل رئيس الوزراء المصري وعرض عليه ما جاء اعلاه فاجاب دولته بان مصر «لا توافق على ان تكون الامانة العامة للجامعة العربية حكومة فوق الحكومات وارجو ان تؤكدوا لفخامة نوري باشا السعيد بأني لا أسمح بمثل هذا وان الامين العام للجامعة العربية لن يتدخل في امر سوريا ولن يسافر ونرجو ان نستمر جميعا على صلاتنا الطيبة وتعاوننا للخير المشترك.

اسرار من انقلاب حسني الزعيم

وفي ١ نيسان ارسلت البرقية التالية الى مفوضيتنا في القاهرة.

« علمنا من الاذاعة بان الحكومة المصرية تنوي الاعتراف بحكومة الانقلاب السوري واتصلوا برئيس الوزراء واستطلعوا منه حقيقة الامر. أما نحن فمتريثون اخبرونا حالا ».

وفي اليوم التالي اي في ١٠ نيسان وردت البرقية التالية من مفوضيتنا في القاهرة:

« قابلت رئيس الوزراء فقال ان الحكومة المصرية لا تزال من

موقفها الذي لزمته منذ بدء الحوادث في سوريا راغبة ان تجتاز سوريا هذا الظرف العارض بسلامة وسوف تخبر الحكومات الاخرى عندما تقرر الاعتراف. يقترح ان يجتمع المسؤولون في الدول العربية سريعاً لدرس الوضع في سوريا ويرجو وصول جوابكم غدا الاثنين.

في ١١ نيسان وجوابا على الفقرة الاخيرة من برقية مفوضيتنا في القاهرة اعلاه ابرقت وزارة الخارجية الى المفوضية المشار اليها تقول انه نظرا لمشاغل فخامة رئيس الوزراء ولعزم رياض بك الصلح على المجيء الى بغداد يرحب فخامة رئيس الوزراء بمجيء مسؤول من مصر الى بغداد للغرض المذكور.

ثم وردت برقية من القاهرة بتاريخ ١١ منه ايضا يعتذر فيها دولة رئيس الوزراء المصري عن السفر ويرجو دوام المخابرات.

اقتراح اتفاقية عسكرية

وفي ٩ نيسان وردت برقية من المفوضية العراقية في دمشق هذا نصها..

«طلب مني الزعيم ابلاغ الحكومة بضرورة عقد اتفاقية عسكرية دفاعية بصورة عاجلة بين العراق وسوريا. وعند موافقة الحكومة العراقية سيرسل وفدا للعراق لوضع اسسها.

وعند ذاك تقرر ارسال وفد عسكري برئاسة العقيد الركن عبد المطلب امين وارسلت البرقية الاتية يوم ١٠ منه.

برقيتكم..

بلغوا الزعيم ما يأتي. سيصلكم قريبا شخص خبير يستطلع ماهية المقترحات الواردة في برقيتكم.

وقد سافر الوفد المذكور في ١٩٤٩/٤/١٢ وفيما يلي البرقيتان المرسلتان من قبله الى وزارة الدفاع.

مطالب حسني الزعيم من العراق

صورة البرقية المرسلة من قبل الوفد الى وزارة الدفاع المرقمة ٢ والمؤرخة ١٢/ ٤/ ١٩٤٩

من طيران هشام - مطلب

الى دفاع بغداد

١٨٣٠ ١٢

رقم المنشيء (.) قابلنا الزعيم ساعة وصولنا احالنا للمذاكرة مع عبد الله عطفة وفريد زين الدين (.) عرضت علينا القضايا التالية (.) الاولى مسودة اتفاقية عسكرية سنرسلها مع عوني الخالدي ظهر يوم ١٣ /٤ (.) الثانية اذاعة تصريح مشترك سنرسل صورته ايضا وخلاصته اعلان اتفاق سوريا والعراق على العمل يدا واحدة وان قواتها تواجه سوية اي عدوان يقع على احدهما (.) الحوافي اعلان هذا البيان خلال يوم او يومين للاستفادة منه في المفاوضة مع اليهود بغية تعديل الحدود لصالحهم (.) افهمناهم ان لا فائدة من التصريح ما لم يدعم بالاعمال ويجعل الجيش العراقي في مواقع يتمكن فيها من تقديم المساعدة (.) استوضحوا امكان اسنادهم بقوات عراقية في قاطع سمح واظهروا اطمئنانهم من وضعهم في القواطع الاخرى (.) بينا ضرورة استناد مثل هذه القوات على قواعد وخطوط مواصلات في سورية (.) أخذوا ذلك بنظر الاعتبار والدرس لبحثه في الاجتماع التالي (.) طلبوا بيان اقصى مساعدة يمكن تقديمها لهم من التشكيلات والاسلحة خاصة المدفعية والمدرعات وضد الدروع والطيارات (.) اوضحنا ان ذلك يتوقف على معرفة موقفهم العسكري الحقيقي واكدنا ضرورة اجراء التعاون بتشكيلات تامة غير مجزأة وتعذر مساعدتهم جوا (.) ايدوا الفكرة على ان تدرس (.) يظهر انهم يستهدفون تقوية موقفهم تجاه اليهود في المفاوضة الحالية والحصول

على اعترافنا الضمني (.) انبئونا بتعليماتكم حول المساعدة ومقدارها لنتمكن من توجيههم بموجبها واقناعهم بفكرة استناد قواتنا على قواعد واراضي سورية (.) نرى ضرورة البت بهذا قبل انتهاء فرصة مفاوضتهم مع اليهود (.) انبئونا.

صورة البرقية المرسلة من قبل الوفد الى وزارة الدفاع المرقمة ٥ والمؤرخة في ١٣/٤/١٩٤٩

من طيران هشام - مطلب

الى دفاع بغداد

١٨٠٠ ١٣

رقم المنشيء ٥ (.) عقد الاجتماع الثاني الساعة ١٦٠٠ اليوم (.) جرى البحث في تعيين مقدار القوات العراقية التي يطلبها السوريون لمساندتهم وتتلخص مطالبهم بما يلي (.) ما لا يقل عن جحفلين لاستخدامها في منطقة سمح احدهما لاحتلال موضع دفاعي والاخر احتياط له (.) انهم مستعدون لابداء التسهيلات اللازمة في الاراضي السورية لتحشد هذه القوة وادامتها ومواصلاتها (.) سيعقد الاجتماع الثالث صباح الجمعة القادم (.) ننتظر تعليماتكم.

وفد سوري الى الرياض

وفي ١٢ نيسان وردت البرقية التالية من مفوضيتنا في جدة هذا نصها:

«سافر الى الرياض اليوم الوفد السوري الذي يحمل رسالة خاصة من الزعيم حسني الزعيم لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود. يعتقد ان الرسالة تحتوي على التفصيلات عن الانقلاب واسبابه يقصد من وراء ذلك اقناع جلالة الملك باحقيته في الانقلاب والاعتراف بحكومته الحاضرة.

وفي نفس اليوم تلقينا ايضا برقية من مفوضيتنا في دمشق تفيد أنه سيتوجه الى بغداد يوم ١٣ نيسان وبطائرة عسكرية سورية وفد مرسل من قبل الزعيم مكون من فريد زين الدين واسعد طلس وبرفقتهم ضابط يحملون رسالة خاصة من الزعيم الى فخامة رئيس الوزراء.

وفد سوري الى بغداد

وفي يوم ١٣ نيسان وصل الوفد السوري المشار اليه اعلاه حاملا مقترحات الاتفاقية العسكرية فيما يلي نص مواردها:

صورة الاتفاقية العسكرية المقترحة من الجانب السوري والمسلمة الى المفوضية العراقية في دمشق

١ - الاتفاقية العسكرية:

القصد الاول قضية فلسطين والثاني صيانة الامن الخارجي للبلدين تجاه اي اعتداء كان اينما كان مصدره.

١ - ان تشترك قوات البلدين فورا بالاعمال الحربية التي قد تنشأ من عدوان اليهود.

٢ - ان تتضامن البلدان وتتحالفا لصيانة امنها الخارجي تجاه اي اعتداء كان.

٣ - ان نوحد القيادة لدى القتال وتكون بيد الطرف الذي يتعرض للعدوان اولا.

٤ - ان توجد هيئة اركان موحدة بالسلم والحرب لتنسيق الخطط والبرامج واعدادها للتنفيذ وان تهيء ما يلزم لزيادة الانسجام في التعليم والتدريب والتسليح والتجهيز.

٥ - ان تزيد كل دولة قوة جيشها زيادة مطردة سنة فسنة لا تقل عن حد ادنى يعينه كلا الطرفين.

٦ – ان تقدم احدى البلدين للاخرى بناء على طلبها كل مساعدة عسكرية ممكنة ناظرة في آن واحد لامكانها وحاجة الطرف الاخر وان يتبادلا الضباط والبعثات العسكرية.

٧ – التعاون لدفع اي عدوان يهودي على اي من قوات البلاد العربية او عرب فلسطين.

٨ – يهمنا الحصول على السلاح والعتاد باكبر قدر ممكن مهما اختلفت انواعه.

٩ – ان نعتبر هذه الاتفاقية متلائمة مع التزامات اي من الطرفين ومع امكان عقد ما يشبهها مع البلاد العربية الأخرى هذه وغيرها من النقاط بنتيجته.

١٠ – مدة الاتفاقية تعين وتجدد.

ملاحظة عامة اساسية : هذه موضوعات للبحث ينظر في تحويرها عند المذاكرة في اسس المعاهدة.

ثم جرت مذاكرة بين فخامة رئيس الوزراء والوفد السوري في دار فخامته في بغداد وقد سلم الوفد المذكور لفخامة الرئيس كتابا خاصا من الزعيم حسني هذا نصه:

حضرة صاحب الفخامة السيد نوري السعيد

رئيس الوزارة العراقية المعظم

ارفع الى الصديق الكريم عبارات التحية والاحترام واسأل الله العظيم ان يمتعه بالصحة ويكلل اعماله بالتوفيق ويأخذ بيدنا جميعا في سبيل خير امتنا العربية الخالدة.

وانني اذ ابعث برسالتي هذه اليكم مع السيدين الكريمين معالي الدكتور فريد زين الدين وسعادة الدكتور اسعد طلس مدير شؤن

السياسة العربية في وزارة الخارجية والعقيد توفيق بشور وهم من انبل رجالاتنا وموضع ثقتنا. فارجو اعتمادهم لتسهيل مهمتهم.

اتشرف باعلامكم انني قد كلفتهم، قبل كل شيء ان ينوبوا عني برفع احترامي واجلالي العظيمين الى السدة الملكية المعظمة والى مقام حضرة صاحب السمو الملكي الامير الوصي وولي العهد ايده الله.

ان حركة الانقلاب الشعبية التي قمت بها يا صاحب الفخامة ترمي الى خدمة مصالح الامة العربية جمعاء ورفع شأنها وانقاذ شرفها، واننا نرى ان افضل الطرق المؤدية الى ذلك هوان نعمدمعا بالسرعة الممكنة الى اجراء اتفاقات يشرحها لكم ويستطلع رأيكم فيها المندوبون المشار اليهم.

واختتم رسالتي هذه راجيا دوام التعاون بيننا لما فيه صلاح امر العرب طالبا من الله جل جلاله ان يبقيكم بالصحة والاقبال.

دمشق ١٥ جمادي الاخرة الموافق ١٣ نيسان ١٩٤٩

القائد العام للقوى المسلحة

التوقيع

المخلص حسني الزعيم

محضر المذاكرة بين الوفد السوري وبين نوري السعيد وفاضل الجمالي

وفيما يلي محضر المذاكرة بين فخامة رئيس الوزراء والوفد السوري المنوه بها اعلاه

محضر المقابلة بين فخامة رئيس الوزراء ومعالي وزير الخارجية والوفد السوري في ١٤ نيسان ١٩٤٩

اجتمع فخامة السيد نوري السعيد ومعالي الدكتور فاضل الجمالي عن الجهة العراقية ومعالي الدكتور فريد زين الدين وسعادة اسعد طلس

والعقيد توفيق بشور عن الجهة السورية يوم ١٥ نيسان ١٩٤٩ في دار فخامة رئيس الوزراء في بغداد ودار الحديث حول الانقلاب السوري والعوامل المؤدية اليه وادلى فخامة السيد نوري السعيد باستعراض تاريخي للعلاقات بين العراق وسوريا وعدد المساعدات القيمة التي اسداها العراق لشقيقته منذ نهاية الحرب العالمية الاولى الى عهد الاستقلال وكيف ان العراق لم يضمر لشقيقته سورية إلا كل خير ومودة وكيف انه في سنة ١٩٤٦ قدم للمرحوم سعد الله الجابري مشروع اتفاقيات ولكن المومأ اليه اجل الموضوع خشية معارضة مصر والسعودية وابدى فخامة الرئيس ان سياسة سورية كانت الابتعاد عن التعاون مع العراق. وهنا سأل فخامة رئيس الوزراء عن المهمة التي ذهب بها وفد الزعيم الى مصر والمملكة العربية السعودية فأجاب السيد اسعد طلس بانهم ذهبوا يحملون اجوبة على الرسائل التي وردت الى الزعيم حول فخامة القوتلي وتبادل التحيات. ثم بدأ الدكتور فريد زين الدين يتكلم منوها بما بين البلدين من روابط طبيعية وعلاقات حيوية وأبدى رغبة الزعيم في القيام بصورة عاجلة باتفاقيات عسكرية واقتصادية مع العراق وان صفحة جديدة يجب ان تفتح للعلاقات بين البلدين.

ابدى فخامة السيد نوري السعيد عدم امكان الدخول في الاتفاقيات التي يراد عقدها الان ما لم ترجع الحياة الدستورية الى سورية اذ لا بد للمتفاوضين من ابراز كتاب الاعتماد وهذا يتطلب وجود وزارة ومجلس على الاقل والى ان يتم ذلك فلا بأس من القيام بدراسات واني ارى ان ترجعوا الى محضر الجلسة بيني وبين المرحوم سعد الله الجابري وهو موجود في وزارة الخارجية السورية وتدرسوا مقترحاتي وتقدموا ما ترون اضافته او حذفه. ثم ان الاتفاقية العسكرية تتوقف على تعيين السياسة الخارجية ولم اكن لاعرف سياسة خارجية واضحة لسوريا في العهد السابق ولم تكن لسوريا حتى الماضي القريب

سياسة خارجية مستقلة وفيا اذا كانت مع الشرق او الغرب ولعلها كانت تساير الجميع او تعادي الجميع. اما نحن فلنا سياسة خارجية واضحة ونحن مرتبطون مع بريطانيا بمعاهدة فلا بد اذا اردنا الدخول في اتفاقيات عسكرية ان نخبر الحكومة البريطانية.

اجاب الدكتور فريد زين الدين بأننا نريد ان نسير في السياسة الخارجية معا، قال فخامة السيد نوري السعيد ان لا بد من انتظار استقرار الاحوال في سوريا لكي تتضح سياستها الخارجية قبل ان نستطيع ابرام اتفاقية عسكرية والى ان يتم ذلك وبما ان سوريا الان تجابه الخطر الصهيوني فاني اعد باسم الحكومة العراقية بأن الجيش العراقي سيأتي لمساعدة سوريا فيما اذا هاجمها الصهيونيون بدون حاجة الى اية اتفاقية عسكرية بين العراق وسوريا وحتى بدون اي طلب يقع من سوريا لاننا نعتبر الخطر الصهيوني موجها الينا جميعا.

وهنا شكر الحاضرون فخامة السيد نوري السعيد وانتهت الجلسة.



من هو حسني الزعيم

ولد حسني الزعيم في حلب ١٨٨٩. وتلقى علومه الابتدائية فيها. وعندما التحق بالجيش التركي تلقى علومه العسكرية في مدارس حلب ودمشق. ومن ثم في استمبول وادرنة.

رقي الى رتبة ملازم اول عام ١٩١٧ وبعدها نقل مع الوحدات التركية الى المدينة المنورة.

عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى وقع اسيرا بأيدي الانكليز في مصر وبعد ان اطلق سراحه بنهاية الحرب، التحق بالجيش الفيصلي العربي، ولكنه استقال بعد مدة وجيزة من الخدمة.

في سنة ١٩٢٠ بعد دخول الفرنسيين الى سورية التحق بالكلية العسكرية. ثم تخرج منها والتحق بوحدات الجيش الفرنسي. ورقي الى رتبة «كابتن» نقيب، وبلغ رتبة «كولونيل» عقيد في عام ١٩٤١. ووقف الى جانب قوات فيشي التي كانت مستسلمة لالمانيا الهتلرية المنتصرة، وحارب معها الديغوليين.

اعتقله الديغوليون بعد انتصارهم مع الانكليز على القوات الفيشية، واحتلالهم سورية وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات. وبعد ان حصلت البلاد على استقلالها التام اطلق سراحه.

في عام ١٩٤٦ تقدم بطلب للالتحاق بالقوات السورية الوطنية، فتردد الحكام الوطنيون في اعادته الى الجيش ولكنه اقام دعوى لدى مجلس الدولة. واكتسب حق اعادته الى الجيش. واستعاد جميع حقوقه.

في عام ١٩٤٨ عين مديرا عاما للشرطة بمسعى بعض النواب، وكانت تربطه اواصر صداقة معهم. وفي نفس العام، عهد اليه بالقيادة العامة للجيش السوري ابان معركة فلسطين الاولى.

واخيرا وفي ٣٠ آذار (مارس) من عام ١٩٤٩ قام بالانقلاب العسكري الاول على الحكومة الدستورية القائمة وقتئذٍ.

في الصباح الباكر من الاحد الواقع في ١٩٤٩/٦/١٤ قتل رميا بالرصاص بأيدي جماعة من الضباط يتزعمهم «الكولونيل» سامي الحناوي بطل الانقلاب العسكري الثاني.



حسني الزعيم مع آركان جيشه.



من هو سامي الحناوي

من مواليد حلب عام ١٨٩٦، واسمه الكامل محمد حلمي سامي الحناوي.

تلقى دراسته الاولية في دار المعلمين. وفي عام ١٩١٦، كانت السلطنة العثمانية تخوض الحرب ضد الحلفاء، دعي الى الخدمة العسكرية، ونقل الى معهد استمبول العسكري. وفي ١٩١٧/٧/٢٤ تخرج برتبة مرشح ضابط، وسيق الى جبهة القفقاس، وبعد انهيار الجبهة الروسية على الحدود التركية، ارسل الى جبهة فلسطين.

وهناك انضم الى الضباط العرب الذين التحقوا بجيش الشريف فيصل.

وفي العهد الفيصلي ارسل الى المعهد العربي في دمشق ليتابع دراسته العسكرية وفي ١٩١٩/٩/١٨، تخرج برتبة ملازم ثان في الجيش العربي.

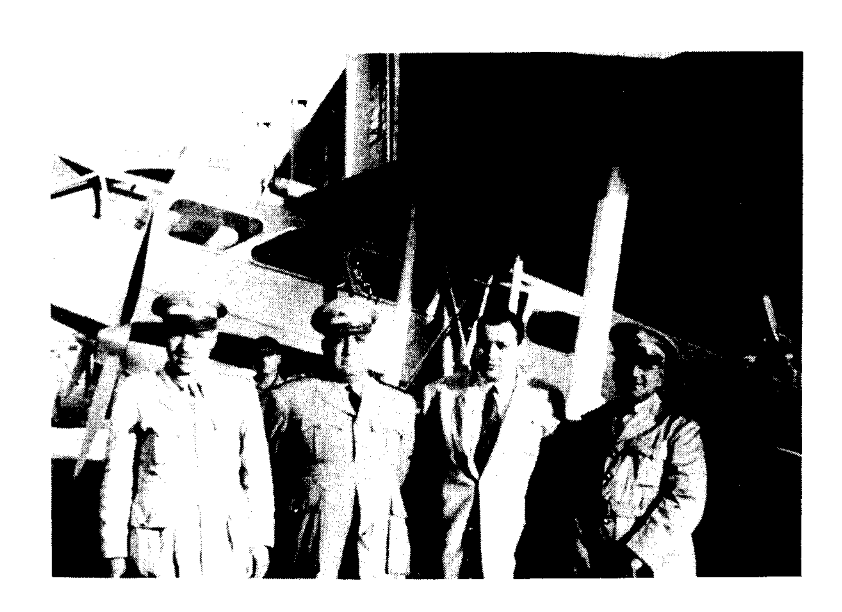
بعد ان احتلت القوات الفرنسية سورية انضم الى سلك الدرك في لواء اسكندرون، ثم انضم في عام ١٩٢٨ الى جيش الشرق المختلط الذي كان تحت القيادة الفرنسية.

ورقي في هذا الجيش المختلط الى رتبة كابتن (نقيب)، ثم انضم بعدئذ الى القوات الوطنية قبل الجلاء عن سورية باسابيع.

اشترك في معركة فلسطين الاولى، وحصل على رتبة مقدم فعقيد فزعيم (عميد)، ثم قام بانقلابه على حسني الزعيم واصبح بعدئذ برتبة لواء (جنرال).

لقي مصرعه في بيروت عام ١٩٥٠ على يد حرشو البرازي ابن عم محسن البرازي بعد انقلاب الشيشكلي عليه بفترة وجيزة من الزمن.

★ ★ ★



الحناوي الذي قاد الانقلاب ضد الزعيم.

تفاصيل الاحداث في اليوم الاول للانقلاب كما رواها لنا العقيد بهيج كلاس معاون الزعيم

حدثنا العقيد بهيج كلاس معاون الزعيم في انقلابه بالتفصيل عن احداث اليوم الاول للانقلاب العسكري فقال:

«كانت الشرارة الاولى للانقلاب، عندما وقف فيصل العسلي، نائب الزبداني ورئيس ما كان يسمى بالحزب الاشتراكي التعاوني في مجلس النواب في دورته الاخيرة، واخذ يهاجم قائد الجيش الاعلى، في ذلك اليوم تقرر الانقلاب.

اجتماع القنيطرة

لقد جمع القائد الاعلى للجيش الزعيم حسني الزعيم كبار الضباط في مقر القيادة العليا في القنيطرة، وتحدث اليهم في هذا الامر الخطير، اذ لم يسبق ان تعرض نائب لقائد جيش بمثل هذا الاسلوب الاليم.

كان الزعيم غاضبا، وكان الضباط هائجين مائجين، وكان الحديث عن الانقلاب، وكانت فكرته هي المسيطرة على الاجتماع ولكن حرصنا على استقلال الوطن في تلك - الاونة حيث ما زال العدو فيها واقفا على الابواب قد طوى الفكرة، ورطّب الجو، وحوّل البحث من وضع خطط للانقلاب الى وضع مذكرة هي انذار جرس الخطر يقرع آذان المسؤولين وتم اعداد هذه المذكرة. وفي الصباح حملها القائد الاعلى، وعاد وكنت ارافقه الى دمشق، وقصد القائد وانا معه الى منزل رئيس



بهيج الكلاس الى اليمن.

الجمهورية، وتمت المقابلة بحضور رئيس الوزراء. قدم الزعيم المذكرة للرئيس بعد ان اعرب عن الاثر العميق الذي خلفه هذا الحادث في نفوس ضباط الجيش وجنده.

كان من المنتظر ان يكون لهذه المذكرة اثرها وان يؤخذ جميع ما ورد فيها من رأي بعين الاعتبار، وان تدرس ولكن... اتدري ماذا قالوا؟

قالوا: اهكذا اصبح الجيش؟ هل غدا الضباط يشتغلون كالمخاتير في تنظيم المضابط؟ وهذا الموقف برهان على انهم لم يأخذوا الامر بعين الجد والاهتمام، وزعموا ان حسمه لا يحتاج الى شيء من ذلك مع ان هذه المذكرة كانت بمثابة انذار اخير.

ابلاغ رئيس الوزراء

لقد بذلنا الكثير من الجهد، وتذرعنا وبكل وسيلة في سبيل تدارك الموقف وهذا الصديق (واشار الى تحسين العظم الذي كان حاضرا المجلس وقال له: الم نجتمع مساء هذا اليوم معا؟ الم اكشف لك عن

نفسية الجيش المتألمة؟ وعن خطورة الموقف فرجوت ان ننتظر حتى الصباح ريثما تقابل رئيس الوزراء وتطلعه على حقيقة الحال، وعلى مقدار خطورته. فقال السيد تحسين العظم:

- لقد قصدت في تلك الليلة خالد بك في بيته. واطلعته على كل شيء بحقيقته. وهذا ما دعاه الى ان يزور رئيس الجمهورية صباحا في منزله ليحادثه بهذا الشأن.

وأضاف العقيد بهيج كلاس الى ذلك قوله:

وهكذا جاء الزعيم وانا في معيته لمقابلة رئيس الجمهورية في بيته وتسليمه المذكرة وهما مجتمعان لهذه الغاية... ومع ذلك قوبلت المذكرة بما قوبلت به، بدلا من الاهتمام والعناية.

الانتقام

ولم يكتفوا باهمال مذكرة كبار الضباط. وتهوين ما تم في مجلس النواب بل اخذت الشوائع تذاع هنا وهناك، انه متى تمت الهدنة فسيرى موقعو المذكرة من كبار الضباط ماذا سيكون مصيرهم، مهددين متوعدين.

محاولة جديدة

وقصد المقدم الدكتور عزة الطباع وقد لمس هياج الضباط والالم الذي يحز في نفوسهم، الى رئيس الجمهورية في بيته واعرب له كضابط وطني يحمل قلبا كبيرا ويغار على جيش البلاد وكرامته، عما يشعر به واخوانه الضباط من الم دفين لهذا الموقف الذي تهمل فيه مذكرة كبار الضباط. ولا تستجاب مطالبهم. ولا تطيب نفوسهم. وان ما وقع لقائد الجيش في المجلس قد حز في نفوسهم وأبدى ما يشعر له من ضرورة بذل أعظم ما يمكن من جهد لتوفير الرعاية الكريمة.

وامر رئيس الجمهورية بالبحث عني هاتفيا، وبعد جهد بلغني النبأ.

فقصدت منزل الرئيس في ساعة متأخرة من الليل وكان الرئيس والمقدم الدكتور عزة الطباع ينتظران وصولي وتحدثنا في الموضوع مليا وابديت للرئيس بان ما يرضي الجيش قائدا وضباطا وجندا، هو الاهتمام بما جاء بمذكرة كبار الضباط والقضاء على التشكيلات التي اخذت تبتذل كرامة الدولة، وكان الحديث طويلا، وغادرت منزل الرئيس وقد كانت الساعة قد جاوزت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وقصدت انا والمقدم الطباع ناد لتناول طعام العشاء. فما بلغته الا والقائد يستدعيني اليه. فتوجهت الى القنيطرة ولم ابلغها الا عند مطلع الفجر، وفي الصباح توجه الزعيم الى العاصمة وكنت بمعيته.

وازداد الاهمال وسارت الاحوال من سيء الى اسوأ، حتى كان بعض الجنود يبقون اياما بلا طعام. وغدا الضباط يرفضون القيام بالواجبات التي تلقى على كواهلهم، في تولي اعمال اللجان بعد اعتقال العقيد انطون البستاني ورفيقيه فؤاد القرية وحسن غانم، وكان كل من يعهد اليه بمهمة اللجان يعرب عن استعداده لقبول عقاب عدم تنفيذه الامر، من ان يصبح الى جانب اخوانه في السجن.

وتوقفت الاعمال جميعها. واضطربت الامور حتى ان الضباط الذين تخرجوا من الكلية العسكرية مضت اربعة اشهر لم يصدر خلالها المرسوم بتعيينهم زمين كما تقضي القوانين بذلك.

واستمرت الحال على هذا المنوال، الى ان اخذت منظمة الحزب الاشتراكي التعاوني تستبيح انواع الحرمات، وضروب الحريات، حتى مهاجمة الآمنين في منازلهم والضغط على حرية الصحافة بالوعيد والتهديد. وشاهد الضباط استفحال الحال وسوء المآل، فقصد فريق منهم الى الزعيم يعربون عن حرقتهم والمهم ان تنهار شؤون الدولة الى هذا الحد الخطر الذي يتهدد البلاد بالاضمحلال والاستقلال بالزوال.

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر

آذار كان حزن الزعيم عظيما على ما بلغت اليه حال الوطن، فقصد الى القنيطرة وقد صمم وعزم، وابرم وعزم.

واشتد التساؤل اين الزعيم؟

فكان الجواب كلما استفسر من مكانه. انه خرج الان. وسئل عنه في القنيطرة فقيل انه يفتش الخطوط الامامية في الجبهة على حين انه كان يضع خطة الانقلاب ويعد له. وكان كبار الضباط يوافونه اليها ويبحثون معه الامر.

الى دمشق..

وفي الساعة الثالثة قطعت كل صلة تربط دمشق بالبلدان السورية والعالم، من اسلاك هاتفية وبرقية ومع ذلك لم يشعر احد بذلك. ولم يتفهم احد السبب. وفي الساعة الحادية عشرة ونصف غادر الزعيم القنيطرة يرافقه كبار ضباط دمشق.

وقد دعيت في تلك الليلة الى وليمة في بيت الدكتور سعيد فتاح الامام. وبقي بعض الاصدقاء في انتظاري امدا غير قصير، ولكني اعتذرت بعد ان علمت ان ليس في البيت هاتف. وقصدت انا والرئيس حسن العابد مرافق رئيس الوزراء حيث امضينا السهرة معا.

ووزع الزعيم اوامره الاخيرة. فوزع القوى، واوكل الى عدد من الضباط بالمهام الموكولة اليهم، لتحقيق الانقلاب. فعهد الى عدد منهم باقتحام منزل رئيس الجمهورية واعتقاله.

وفي الساعة الثانية والنصف، بدأ التنفيذ وقام كل فريق بتنفيذ ما كلف به بكل سكينة وهدوء، وتم تنفيذ هذه الاوامر في اقل من ساعة ودون ان يشعر احد بذلك.

مع فارس الخوري رئيس الحكومة السورية

اندلعت النيران في البيت

بعد مضي اسابيع على الانقلاب، قمت بزيارة للاستاذ فارس الخوري في منزله بالمهاجرين فاستقبلني بابتسامته المعتادة، ونظر اليّ بعينين تشعان بنور الحكمة والخير.

سألته عن رأيه فيا جرى من احداث في البلد، وما هو موقفه ازاءها، فأجاب:

- اتسألني ماذا جرى؟ **لقد اندلعت النيران في البيت**. ان الواجب الوطني والعقل والضمير، كل ذلك يفرض علينا ان نتعاون لاخماد النيران، او حصرها قبل ان يشتد لهيبها فتأتي على الاخضر واليابس انت تعلم اني رجل حقوق ودستور. ولا اقر الانقلابات العسكرية مهما كانت اهدافها ومراميها، لقد حاولت جاهدا اقناع النواب وزعماء الاحزاب، من مختلف الميول والاتجاهات، ان يتعاونوا فيما بينهم في هذا الوقت العصيب، لدرء خطر تدخل الجيش في السياسة وانت تعلم، وكل من فيه ذرة من العقل يعلم، ان تدخل الجيش في الامور السياسية والادارية معناه خراب البلاد وجرها الى منزلق خطر فكل انقلاب يتلوه عادة انقلاب آخر كما هو الحال في اميركا اللاتينية وقد لمست استجابة من الزعيم في سحب الجيش الى ثكناته، وافساح المجال امام مجلس الشعب للقيام بما يفرضه عليهم الواجب، واجب حمل

الامانة، وليعملوا في سبيل اقامة حياة دستورية سليمة. تصان فيها حقوق المواطنين وحريتهم وكرامتهم.. ولكن مسعاي باء بالفشل. وغدونا أنا وبعض الاخوان المصلحين، نعمل جهدنا في اطفاء الحريق.

ودار بيننا حديث طويل عن موقف مصر والاردن والعراق من الانقلاب. فتمنى ان يلبي رؤساء وملوك العرب نداءه المشهور في التضامن والتكاتف لدرء الاخطار المحدقة بالوطن وللقيام بما ينبغي القيام به من اصلاح. قبل ان يفوت الاوان...

قلت: ما رأيك في مشروع تقسيم فلسطين الذي اقرته هيئة الامم المتحدة. وكنتم انتم تمثلون سورية في هذه الهيئة؟.

قال: اقول لك بصدق واخلاص، كان من الخير لنا جميعا ان نقبل مبدئيا مشروع تقسيم كهذا، لا لأن الوضع الدولي غير مؤات للعرب في هيئة الامم انذاك فحسب، ولا لان العالم باسره ينظر الى اليهود نظرة عطف بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بسبب ما حل بهم على ايدي النازيين من ذبح وتنكيل، بل لان من مصلحة العرب انفسهم القبول بهذا المشروع. لانه يحصر الصهيونيين في نطاق ضيق من فلسطين ويجعل من عرب فلسطين قوة قد تنمو وتنتظم مع مرور الايام، بحيث يمكن اقامة دولة علمانية ديموقراطية في فلسطين تضم مختلف العناصر والديانات على حد سواء، ولكني في الواقع لا أجرؤ بالتصريح بذلك علنا فلا تزال شعوبنا تعيش في اجواء من الغوغائية، والانفعالات العصبية. وقد يتعرض من يقول كلمة حق وصدق الى الطعن في كرامته. ولا يستبعد ان يتهم بالخيانة والمروق.

هذا حالي مع العرب.. ولا حاجة الى تذكيرك ان هذا الحديث ليس للنشر،

ثم انتقل بنا الحديث الى مراحل القضية السورية. القضية العربية بوجه عام، قال:

اعلم اني كرست حياتي من اجل استقلال وطني. وناضلت نضالاً طويلا شاقا مع جميع العناصر الوطنية في مختلف العهود، لانتزاع الاستقلال، وبناء دولة ديمقراطية دستورية. يكون فيها جميع المواطنين سواسية كأسنان المشط امام القانون. يتمتع الفرد بحقوقه الانسانية، كما عملت على مختلف المستويات الداخلية والخارجية. في الحكم وخارجه، في المحافل الدولية، وهيئة الامم المتحدة دفاعا عن حقوقنا المهضومة. وكنت اقابل تارة بالتكريم والاحترام واخرى بالجحود والنكران. ولكني كنت في جميع مراحل كفاحي افضل الترفع عن المهاترات الحزبية. والخلافات الشخصية. والبعد كل البعد عن انتهازية المناصب والمغانم. كنت ادعو العرب في كل مكان الى التضامن والاتحاد. والوقوف صفا واحدا في وجه الاحداث الدولية واعمال البغي والعدوان. ولكن صرخاتي كانت كصرخات في واد، وملوك العرب ورؤساؤهم على ما هم عليه من تفرق وبغضاء وشحناء كأنهم كما قيل: اتفقوا على الا يتفقوا.

واسمعني بعض ابيات من شعره بهذا المعنى قال:

كان التجلد في البلوى يواتيني فما له حين ادعو لا يلبيني
ضاق الفؤاد بالآم مبرحة وفاجعات بنار الوجد تكويني

ثم قال:

لا بد ان يرجعوا للشام وحدتها بعد ما فصلوها عن فلسطين
بين الفرات والاردن رابطة مثل التي بين قسيون وصنين

لقد احببت هذا الرجل العطوف الودود، من صميم القلب وكنت أكبر فيه عقله الراجح وقلبه الكبير وروحه الوطنية الوثابة. ودعاباته الرقيقة التي تصدر عنه عفو الخاطر.

كان من يستمع الى حديث الخوري لا يشعر بمضي الوقت... كان حديث الحكمة والعقل، ولذلك قلت بعضه على هذه الصفحات من هذا

التأريخ، تذكرة وعبرة للاجيال.

الزعيم يمنح المرأة حق التصويت:

وفي الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٤٩ اذيع من راديو دمشق خطاب مكتوب للزعيم. تلي بالنيابة عنه، عاد فأكد فيه ما جاء في خطابه الاول واضاف انه الف لجنة من رجال التشريع، لوضع قانون جديد للانتخاب. تعطى المرأة السورية بموجبه، حق التصويت، وسيسفر الانتخاب عن مجلس لا محل فيه لكسول او مرتزق. ووعد بتطهير جهاز الدولة من الموظفين غير المنتجين. ووعد بانصاف صغار الموظفين ومكافحة البطالة، وتوزيع الاراضي على الفلاحين. واعلن تمسكه بميثاق جامعة الدول العربية.

وفي ختام خطابه. عاد فحمل على الشيوعية الهدامة.

وبهذه المناسبة سئل الاستاذ فارس الخوري - بعد فترة وجيزة من الزمن - وكان يحاول جهده اسداء النصح والارشاد الى الزعيم عن رأيه في الموقف الجديد، فأجاب بلباقته المعروفة:

- الوضع الجديد الذي انشأه الزعيم بعد وفي غضون الاسابيع الاربعة الاخيرة كان امرا واقعا. يجب مؤازرته. والسعي العام المشترك من الشعب في الداخل، وفي حلفائه في الخارج و لازالة ما يخشى ظهوره من العراقيل او تحول دون استمراره، بسلام كما بدأ بسلام.

وختم حديثه للصحفيين بقوله: انه يتمنى ان تقوم في البلاد حياة دستورية. ونظام جمهوري يحقق رغبات الامة ورقيها.

بيان حزب البعث:

واصدر حزب البعث العربي، بياناً أيد فيه الانقلاب العسكري، جاء فيه:

«انه لا يتوقع من الانقلاب ان يكون نهاية عهد اسود فحسب، بل

يجد فيه نقطة انطلاق جوهرية نحو الحياة الحرة المنتجة القوية، ومن الواضح ان ضعف العهد السابق وانهياره، كان نتيجة السياسة التي قامت على خنق حريات الشعب وتزييف ارادته، وتسخير جهوده وموارد بلاده لمصلحة الحكام، وطبقتهم الجشعة المستثمرة، فلا بد اذن من قلب هذه السياسة من اساسها حتى يقدر للانقلاب ان يحيا ويدوم، ولذلك ولكي يدعم الشعب انقلابه، يجب ان يكون حرا في التعبير عن ارادته ورغباته، وان يشارك عمليا في رسم منهاج العهد الجديد.»

وفي ختام البيان طالب عميد الحزب بتطهير جهاز الدولة من عناصر العهد البائد وتأمين الحريات التي نص عليها الدستور«؟» واجراء انتخابات حرة..

ولكن الزعيم لم يعمل ببند واحد من مطالب حزب البعث بل زج بزعيمه في سجن المزة، والكل يعلم قصة الرسالة التي استكتبوه إياها، وفوهة المسدس موجهة الى رأسه..

كانت رسالة مضحكة اثارت النفور والاشمئزاز. لا من كاتبها. الذي خطها تحت الضغط والاكراه بل من انتزعها ونشرها على الناس. وهو في مركز القوة. وقد تم ذلك في معتقل المزة.

كانت هذه الرسالة اول وصمة عار في جبين العهد الجديد. لا في جبين كاتبها المكره على امره.

اقول قولي هذا، لا تعاطفا مع ميشيل عفلق وحزبه، بل تعاطفا مع جميع الرجال الذين يعتنقون فكرة. وان اختلفت مع فكرتي. او يؤمنون بمذهب، وان اختلف مع مذهبي اقول هذا لمجرد الدفاع عن حق مقدس من حقوق الانسان التي اعلن الزعيم في اول بلاغ له، انه انما قام بانقلابه في سبيل صيانتها وارساء قواعدها وعدم العبث بها.

هذا موقف لم احد، ولن احيد عنه قيد انملة، في يوم من الايام،

هذا الموقف بالذات هو الذي جعلني استنكر موقف ميشيل عفلق بعد الثامن من آذار اذ رضي هو نفسه المدافع عن الحريات الدستورية وكرامة الانسان وديمقراطية الحكم ان تكم جماعته «الرجعية» المتسلطة، الافواه وتزج في اعماق السجون كل من يخالفها في الرأي. وتقضي على كل اثر من حرية الصحافة والرأي والاجتماع.

هذا دليل آخر اسوقه على ازدواج الشخصية العربية. وضبابية الافكار «الصبيانية» التي تراود بعض الزعماء العرب في أحلام يقظتهم.

الغريب في امر امثال هؤلاء الزعماء من سياسيين وعسكريين. انهم متى جردوا من الحكم. ولجأوا الى لبنان او غيره من بلدان العالم. حملوا على من ازاحهم عن الحكم. واتبعوه بالدكتاتورية والطغيان والظلم.. وطالبوا بعودة الحياة الدستورية والديمقراطية الى البلاد. وهذه تصريحاتهم في الصحف خير شاهد على ما أقول.

حتى ان المقدم سليم حاطوم. الذي طغى وبغى في آذار سنة ١٩٦٣ وزج بالسجون كل من نعت صاحبته «لودي الشامية» بكلمة سوء او رفض تلحين اغنية لها ، هذا الرجل نفسه سمعته بعد فراره من سورية مع صاحبه بدر جمعة، يذيع من راديو) عمان خطابا يطالب فيه بعودة الحياة الديمقراطية البرلمانية الى البلاد. وصيانة الحريات العامة. فطوبى لأولئك المفلحين الصالحين.

مفاوضات سرية:

في نفس الوقت. ابلغ الزعيم السيد رالف بانش الوسيط الدولي في مسألة الهدنة مع اسرائيل ما يلي:

«.. ان كل محاولة صهيونية لاحتلال اية بقعة من الاراضي التي


صورة تاريخية جداً حيث اصبح الكولونيل ميد من كبار رجالات امريكا ولا زال

يحتلها الجيش السوري. سيكون جوابها الوحيد اطلاق النار، ومتابعة القتال. »

وقد جاء هذا التصريح اثر التهديدات الصهيونية لسورية بعد الانقلاب.

وفي الوقت نفسه. لوحظ كثرة تردد الوزير الاميركي المفوض على الزعيم في مقر قيادته بالاركان العامة . واشيع انذاك ان مفاوضات سرية تجري بين الجانبين الاميركي والسوري، لايجاد حل نهائي لقضية فلسطين. على اساس مقررات الامم المتحدة. وان الولايات المتحدة. لقاء ذلك ستمد سوريا بالمساعدات المالية اللازمة لانعاش اقتصادها المتدهور.

هذا، وقد كثر الحديث، فيما بعد، عن دور الولايات المتحدة في انقلاب حسني الزعيم. فمنهم من قال انهم «دبروا» هذا الانقلاب من اجل تمديد انابيب التابلاين، ومنهم من قال انه صمم لحل المشكلة الفلسطينية.

وقد قرأت بعض ما رواه احد موظفي المخابرات الاميركية الذي كان يعمل في السفارة الاميركية بدمشق ابان انقلاب الزعيم. من ان الولايات المتحدة هي التي دبرت انقلاب الزعيم فلما خرج عن الخط المرسوم له. «دبرته» وقضت عليه. ولكن نذير فنصه، السكرتير الاول للزعيم رد على هذا الزعم بأن الانقلاب كان حركة محلية صرفة، كما يعلم هو ومما استوقفني في اقوال العميل الاميركي انه طاف بالسيارة مع الوزير الاميركي المفوض في شوارع دمشق غداة الانقلاب الاول، فلحظ علائم الاستياء ظاهرة على وجه الوزير الاميركي فسأله ما لك ساخط هكذا، فأجابه: لقد قتلنا الديمقراطية في هذا البلد..

اني لا استطيع ان اصدر حكما جازماً قاطعا بأن الولايات المتحدة الاميركية هي التي دبرت إنقلاب حسني الزعيم. لقد تكون تلك الاقاصيص صحيحة او تكون باطلة. ولكن الذي اعرفه عن دوافع الانقلاب الاول. انها دوافع محلية بحتة. كما اشرت الى ذلك في تمهيدي لهذا الكتاب. ولكن لا يستغرب ان يستغل في نواحٍ كثيرة من جانب هيئات اجنبية. كل واحدة منها تبغي جر مغنم اوفر من سياسة معينة على اتجاه الحكم في سورية، كذلك فاني مطلع على دوافع الانقلاب الثاني. واعتقد انها دوافع شخصية اكثر منها دولية. وان استغلت على الفور من جانب احد الاطراف في الصراع الدولي الذي كان قائما. ولا يزال قائما حتى الان في الشرق الاوسط.

عروش.. وامبراطوريات.. واتحادات.. واحلام..

مطامع الوصي على عرش العراق في عرش سورية - عرش سورية بين الوصي عبد الاله والملك عبد الله ملك الاردن - مشروع سورية الكبرى والهلال الخصيب.

المفاوضات الاولى بين حسني الزعيم والملك فاروق على قيام اتحاد بين مصر وسورية.

ماذا قال فاروق لسكرتير الزعيم الخاص عندما كان ملكا وماذا قال له بعد ان خلع عن عرشه؟

هل عرف العرب طريقهم الى الوحدة العربية الشاملة؟

كانت فكرة الاستيلاء على عرش سورية، في تلك الايام، تراود الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق منذ امد طويل، كما كانت تراود في الوقت نفسه الملك عبد الله، ملك الاردن، فالاول يدعو مشروعه بالهلال الخصيب، والثاني يدعوه بمشروع سورية الكبرى، فكلاهما كان يعمل لحسابه الخاص، للحصول على عرش سورية كأنه كرسي معروض في المزاد الدولي، وكلاهما يمهد لمشروعه بما يتوفر له من امكانات ودعم اجنبي كان الاول يحلم بأن يعتلي فيصل الثاني عرش العراق وهذا بالمقابل يعتلي عرش سورية وكانت تجري اتصالات مع بعض الزعماء السوريين لحضهم على قبول مشروع اتحاد فيدرالي بين سورية والعراق والاردن اما الثاني فكان متمسكا بمشروع سورية الكبرى، على اعتبار ان الاردن ما هو في الواقع الا ولاية من ولايات سورية، ولقد وقف حكام سورية في العهد الوطني الجديد، ضد هذين المشروعين، لا كراهية منهم في الوحدة. او المشاريع المذكورة بحد ذاتها. بل لاعتقادهم ان هذين المشروعين سيجران سورية التي استقلت حديثا استقلالا تاما ناجزا الى عجلة الاحلاف الاجنبية، وهذا ما لا يريدونه لوطنهم بحال من الاحوال. وكان من اشد المعارضين لمثل هذه المشاريع المشبوهة السيد شكري القوتلي وصحبه. وقد عقدت قبل الانقلاب عدة مؤتمرات. وعدة اجتماعات شعبية، خطب فيها القوتلي منددا بالمشاريع الاستعمارية، ومعلنا تمسك البلاد بالنظام الجمهوري، وبالاستقلال التام، كما شنت الصحف والاذاعة حملات شعواء على الداعين الى مثل هذه المشاريع.

ولما وقع الانقلاب الاول في سورية، لزمت الحكومتان الاردنية

والعراقية جانب الصمت مدة من الزمن ولم تعلق على ما حدث بحرف واحد، وعلى حين غرة، وبتاريخ ١٩٤٩/٤/١٦، هبط السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية الى دمشق وهو بزيه العسكري الكامل، ويرتدي بزة جنرال واجتمع اجتماعا طويلا الى الكولونيل حسني الزعيم، ولم يعلم احد ما دار بالضبط بين الرجلين، الا انني علمت من مصدر موثوق: ان نوري السعيد عرض على الزعيم اقامة وحدة سورية - عراقية على الفور، ولكن الزعيم تردد في قبول العرض ووعد بدرس الموضوع.

واذاعت الحكومة العراقية في نهاية هذا اللقاء بين الجنرال نوري السعيد. والكولونيل حسني الزعيم بلاغا رسميا مقتضيا جاء فيه ما يلي:

«ان الحكومة العراقية تغتنم فرصة الانقلاب السوري لتطمين سورية بأن العراق يعتبر اي اعتداء صهيوني على حدودها، اعتداء عليه بالذات، وان الجيش العراقي مستعد لتلبية نداء الاخوة في كل ساعة تدعو الضرورة الى ذلك».

الا ان الامر كان خلاف ما ذكر في هذا البلاغ الرسمي، فلم تكن قضية فلسطين، الا مسألة ثانوية في المباحثات التي جرت بين السعيد والزعيم.

لقد حمل نوري السعيد معه مشروع اتحاد عراقي - سوري ووعد بدخول الجيش العراقي الى سورية بحجة رد الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود السورية.

واتصل الزعيم بعد ان غادر نوري السعيد دمشق باعوانه، ومستشاريه، فنصحوه بالبعد عن مشاريع الاحلاف الاجنبية المشبوهة والا انهار حكمه.

وعمل الزعيم بمشورتهم. ومن هنا بدأ الخلاف يدب بين سورية

والعراق والاردن. وبدأت حملة متبادلة في الصحافة والاذاعات. واطلقت التصريحات العنيفة وهدد الحكام العراقيون بنسف الزعيم وعهده.

وما ان اتضح للزعيم حقيقة نوايا حكام العراق. ومطامع الوصي بعرش سورية، حتى اوفد سكرتيره الخاص نذير فنصه الى مصر، على جناح السرعة لمقابلة الملك فاروق، ملك مصر، والاتفاق معه على قيام تعاون وثيق بين مصر وسورية ليقف سدا منيعا في وجه الاطماع الخارجية. والمطالبين بعرش سورية.

وقام نذير بالمهمة. وسافر الى مصر وقابل الملك فاروق، ثم طار الى السعودية وقابل العاهل السعودي، وابلغه كذلك رغبة الزعيم في توثيق عرى الصداقة بين سورية والمملكة العربية السعودية كما كانت على الدوام، والعودة الى سياسة شكري القوتلي نفسها في اقامة محور القاهرة - الرياض - دمشق للصمود امام اطماع الطامعين.

كانت سياسة مصر، على مر العصور عبر التاريخ، وحتى عهد محمد علي وابراهيم باشا فعبد الناصر، تتطلع الى وحدة مع الشام. لاسباب امنية وسياسية مشتركة. ولم تتبدل هذه السياسة حتى اليوم، على الرغم مما اعترضها من صعاب ونكسات، اما المملكة العربية السعودية فكانت تخشى توسع ملك الهاشميين، واشتداد بأسهم. فيكون في ذلك القضاء المبرم عليها. لهذا كان من السهل والطبيعي قيام هذا المحور ودعمه.

وجرت بعدئذ اتصالات ومشاورات اسفرت عن قيام حسني الزعيم بزيارة الى القاهرة ولقائه المعروف مع الملك فاروق الذي اطلقوا عليه في الصحف والاذاعات «اللقاء التاريخي» وقد لعب نذير فنصه دورا بارزا في التمهيد لهذا اللقاء الذي اسفر عن دعم ملك مصر لصاحب الانقلاب السوري دعما كاملا، كما مهد السبيل لتعاون سوري - مصري - سعودي وثيق.

وبذلك لم تنحرف سورية العربية عن سياستها التقليدية وخطها العام في السياسة الخارجية التي رسمها الرئيس القوتلي نفسه. ولم تتخل عن اهدافها القومية. على الرغم من الضغوط الكثيفة التي مارسها حكام العراق والاردن على حسني الزعيم.

هذا، وبالمناسبة اقول والمرارة تملأ جوانحي، ان العلاقات السورية - العراقية، لم تكن في يوم من الايام، وثيقة الاواصر، كما ينبغي ان يكون بين قطرين عربيين شقيقين، والمتتبع لتطور هذه العلاقات منذ ابعد العهود حتى يومنا هذا، من ايام الامويين والعباسيين. الى عهد الوصي على عرش العراق الامير عبد الاله، وصاحبه نوري السعيد، فعبد الكريم قاسم ومن بعده عبد السلام عارف وشقيقه عبد الرحمن. إلى البكر ومن ثم صدام حسين، يرى كيف كان العداء مستحكماً بين القطرين العربيين. وقد سلك جميع حكام العراق، الاموات منهم والاحياء، نفس السلوك، ونفس السياسة التقليدية ازاء سورية العربية التي تفتح صدرها على الدوام لكل اتحاد او وحدة مع اي قطر عربي كان، كأن هؤلاء الحكام كانوا او لا يزالون يحملون فكرة ثابتة في رؤوسهم لا تتبدل بتبدل الاحكام والازمان ولا تتحول بتحول الاحداث، ونمو الوعي القومي لدى الجماهير العربية وتشبع هذه الجماهير بروح الوحدة والتضامن العربي، كنت اراهم على مختلف العهود المعاصرة كأنهم لا يزالون يحملون في عقولهم رواسب الماضي السحيق الكريه. رواسب الخلافات العشائرية والعنعنات الطائفية والمذهبية.

وهذا لا يعني بحال من الاحوال اني اشك في صدق عروبة القطر العراقي الشقيق، وطموح جماهيره الى الوحدة والحرية، ولكن عقلية الحكام المتعاقبين على حكمه، كانت دائما هي الحجرة العثرة في سبيل اقامة اية وحدة او اتحاد طبيعي بين القطرين الشقيقين. وفي اعتقادي

انه ما لم يتحرر العراق من نير العشائرية والطائفية البغيضة. ومن حكم الرأس الواحد، فلا يمكن ان تقوم علاقات طبيعية، بين سورية والعراق، علاقات اخوية على اسس متينة من الحرية والديمقراطية والقيم الاخلاقية الجديدة التي لا تتبدل الا بتبدل الاحوال، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية، ليس في الغراق وحده بل في جميع الاقطار العربية.

لذلك فاني لا اقر ما كتبه ذات مرة اديبنا الكبير الاستاذ شفيق جبري في جريدة «الايام» من ان السبب في عزلة الساسة العراقيين على الدوام عن ركب العروبة، والتضامن العربي، يعود بالدرجة الاولى الى شدة انفعال هؤلاء الساسة والزعماء، والى توتر اعصابهم، بسبب ما يسود العراق من مناخ حار جاف.

ان المسألة ليست مسألة مناخ، وحر وجفاف، او هواء عليل بل هي اعمق من ذلك بكثير، المسألة كامنة في أساس تكوين البنية الاجتماعية والاقتصادية في العراق نفسه، فما لم تتبدل هذه البنية، بعلاقات جديدة من الانتاج والعمل. فلن تتبدل عقلية الزعماء والساسة.

ولذلك، فاني كنت اخشى على الدوام من قيام وحدة ثنائية، ارتجالية، او اتحادات مصطنعة، بين عشية وضحاها. دون دراسة او امعان نظر، او تخطيط سليم. ودون الاخذ بعين الاعتبار، ما هنالك من تباين الاقطار العربية. في ظروفها واوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية وسواها.

اني ارى كما يرى الكثيرون من رجال السياسة المخضرمين في مختلف الاقطار العربية، ان الجامعة العربية، هي خير طريق الى الوحدة العربية الشاملة فاذا دعمت دعما وطنيا كافيا، واذا عدل ميثاقها. بحيث يجعل منها اتحادا عربيا قويا. على غرار الاتحاد السويسري، او الولايات المتحدة الاميركية. او جمهوريات الاتحاد السوفياتي. وذلك لن

يتم الا بالشروع اولا في بناء وحدة اقتصادية بين مختلف الاقطار العربية. كانشاء اساطيل بحرية وجوية تجارية. وتوسيع شبكة المواصلات بين البلدان العربية، وانشاء المعامل والشركات برؤوس اموال عربية مشتركة، لانماء الصلات، وتقرير الروابط، وتوثيق المصالح بين الشعوب العربية ومن ثم. وفي الوقت نفسه توحيد برامج التعليم، وتوثيق اواصر التعاون العربي من الوجهة السياسية، وليس ثمة ما يمنع عن بقاء كل دولة عربية في حدود استقلالها وادارتها المحلية.

ولن يتم ذلك بالقوة او التسلط، بل في حدود ميثاق الجامعة العربية الجديدة: وفق سنة التطور، وبالاساليب الديمقراطية الدستورية البحتة، ويمنع تسلط دولة عربية على اخرى.

هذا، ما علمتنا اياه التجارب المريرة الماضية، فهل نعتبر يا ترى بدروس الماضي القريب؟ ام نعمد كما عمدنا في السابق، الى اعلان «وحدات» او «اتحادات» ثنائية او ثلاثية او رباعية، هنا وهناك، وحسب المناسبات والاهواء او كلما هبت رياح من الشرق او الغرب؟ يرافق كل ذلك طبل وزمر، وتقبيل وعناق، وخطب ومهرجانات. واناشيد في الاذاعات، ثم لا تلبث ان تنهار الاحلام الجسام، بين عشية وضحاها. عند اول صدام بين الواقع والخيال فتتهاوى تلك الاتحادات كما تتهاوى قصور على الرمال. او تتحطم كما تنحطم لعب الاطفال، ولا احد غير الاطفال يحطم العابه.

يخيل الى الكثيرون من الناس، ان مسألة الوحدة بين مصر والشام، عام ١٩٥٨ كانت وليدة الساعة، في عهد عبد الناصر، ولكن الواقع هو خلاف ذلك واليكم الدليل:

قالت وكالة الأنباء العربية بتاريخ ٤/٩/ ١٩٤٩، ان نذير فنصه، السكرتير الخاص للزعيم حسني الزعيم، ورسوله الى مصر والسعودية، كان يحمل معه رسالة خاصة من الزعيم الى ملك مصر والملك عبد العزيز

آل سعود. وقد تحدث الى مراسل الوكالة فأبدى ارتياحه لموقف الحكومة المصرية من الانقلاب، وقال انه اطلع الحكومة المصرية على حقيقة الأهداف الوطنية للانقلاب في سورية وان الشكوك التي كانت تساور الجميع، وخاصة فيما يتعلق بالمعاملة التي يلقاها الرئيس شكري القوتلي، الرئيس السابق قد زالت، بعد ان تبين ان السيد القوتلي، يعامل معاملة حسنة، وتؤمن له جميع وسائل الراحة، ثم تحدث عن بعض اهداف الانقلاب، فقال:

«ان الزعيم سيعمل على تحرير المرأة العربية السورية عن نير الجهل، وستمنح المرأة في سورية حق التصويت، وحق المساواة بالرجل، كما سيعمل الزعيم على توزيع الاراضي على الفلاحين الخ.

ولما سئل عن الاعتقالات التي تمت غداة الانقلاب قال: ان الزعيم امر باعتقال ثلاثين شخصا. وسيفرج عنهم.

هذا، ولما عاد نذير عن رحلته الى مصر والسعودية، سألته عما جرى له هناك، وخاصة مع الملك فاروق، وما دار بينهم من حديث قال ضاحكا:

- لقد دعاني الملك فاروق الى تناول افطار الصباح في حدائق انشاص ولشد ما كانت دهشتي بالغة عندما رأيت «النادل الملكي» يحمل صينية من فضة وعليها طبقان مزخرفان كبيران يتصاعد منهما بخار الفول المدمس فابتمست وانا انظر الى طبق الفول امامي..

فقال الملك مالك يا فنصة الا تحب الفول؟ ان الفول هو طبقي المفضل كل صباح..

فأجبته متداركا: كلا يا صاحب الجلالة فنحن في الشام نحب الفول حبا جما.

واستطرد نذير قائلا:



ملت على صحن الفول اغمس منه كما يغمس الملك. وانا اضحك في سري... ايلحقني الفول حتى الى القصور الملكية، ألم يكفنا ما اكلنا من فول في ماضي الزمان...

قلت للاخ نذير:

- ولكني لا اسألك عما قدم اليك جلالته من مآكل شهية، سواء اكانت فولا ام حمصا ام ديكا روميا. بل اريد ان اعرف ما دار بينك وبينه من حديث قد يصلح بعضه للنشر.

قال: لا تتعجل بنشر شيء.. ولكن انه حول طبق الفول هذا دار بيننا اخطر حديث سياسي يتناول العلاقات بين مصر وسورية. كان فاروق تساوره شكوك قوية حول نوايا صاحب الانقلاب، وكان يخشى ان تنفصل سورية عن ركب السياسة المصرية - السعودية، وتلتحق باغراء من نوري السعيد بسياسة الاحلاف الاجنبية، فتصبح بذلك مصر في عزلة عن العالم العربي، وكنت ادرك ما يساوره من شكوك ولذلك فاتحته بكل بساطة وبايمان الشاب المؤمن بحرية واستقلال بلاده، ان سورية لن تخرج عن سياستها التقليدية الداعية الى الوحدة الشاملة. ولن تزج نفسها في احلاف مشبوهة، وان حلفاءها الطبيعيين هم الاخوة

المصريون والسعوديون، ومتى تحرر العراق والاردن من سياسة الاحلاف فيسهل عندئذ التفاهم معهما على نفس المستوى، وتحقيق التضامن العربي، ورفع مستوى الجامعة العربية،

ثم فاجأته بأن اطلقت سهمي الذي ادهش الملك فاروق فقلت على حين غرة: لقد جئتكم اليوم أعرض على جلالتكم مشروع اتحاد بين مصر وسوريا ليكون بمثابة النواة للوحدة العربية الكبرى. شخص الي الملك بنظرة ساهمة وقال:

– هكذا اذن.. طيب اتفقنا واني لذلك ادعو الزعيم لزيارتي في اقرب وقت ممكن. لنبحث هذا الامر الهام. وسأرد له الزيارة بعد فترة وجيزة من الزمن.. وفي دمشق نعلن نبأ الحدث الخطير.. انك يا نذير.. اهذا اسمك بالضبط.. انك خير مفاوض قابلته. فلا تعرف اللف والدوران وتلجأ الى تلك السياسة الميكانيكية التي مللت منها، انك شاب عربي طيب..

فشكرته على حسن ظنه بي، واكدت له ان لا حاجة بنا الى ذكر الروابط التاريخية، القائمة بين البلدين الشقيقين منذ اقدم عهود التاريخ، وفي كل مرة يتم فيها اتحاد مصر والشام، عبر تاريخنا الطويل، نتمكن من اعدائنا، وتزدهر بلادنا، ويسودها الامن والطمأنينة.

قال الملك: صدقت ولنبدأ بالعمل فورا.

هذا ما دار بيننا من مفاوضات امام صحن الفول.. الا ترى ان المسألة اخطر مما نظن، ولا تصلح اليوم للنشر، ولنتركها مفاجأة سارة للناس في وقتها، الا ترى معي ان حلم الوحدة حلم جميل.. وكم يسعدني ان اكون أنا البادىء في تحقيق الخطوة الاولى منه.

وفي ٢٢ /٤ /١٩٤٩، فوجىء الناس في مصر والشام، بوصول

حسني الزعيم الى القاهرة بصحبة سكرتيره الاول نذير فنصه الذي مهد لهذه الزيارة منذ ايام معدودات، فاستقبله فاروق استقبال الفاتحين. وأكرم وفادته. وعقد بينهما اجتماع سمي «باجتماع انشاص التاريخي» بحضور نذير فنصه، واسفر هذا الاجتماع عن تفاهم تام بين الزعيم والملك. ودخلت على اثره العلاقات السورية المصرية في طور جديد من التعاون الوثيق وبلغني من الاخ نذير ان اسس وحدة ثنائية بين مصر وسورية قد وضعت اثناء هذا اللقاء «التاريخي».

وعلى الاثر اعلن اعتراف الحكومتين المصرية والسعودية بالوضع الجديد في سورية، ومن بعده، انهالت اعترافات الدول الاجنبية والعربية. فيما عدا اعتراف العراق والاردن بالوضع الراهن.

لقد نجحت السياسة المصرية في استمالة سورية الجديدة الى صف المعسكر المصري - السعودي، الذي كان يناصب حكام بغداد العداء، بسبب سياسة نوري السعيد والوصي المنحازة انحيازا كليا الى الغرب والمؤيدة لمشاريع الاحلاف والقواعد العسكرية الاجنبية. في الوقت الذي كانت تناضل مصر حكومة وشعباً للتخلص من القواعد العسكرية البريطانية على اراضيها.

كانت قضية القومية العربية، والوحدة العربية، في مصر الشقيقة حديثة العهد على الساسة والمفكرين وسواد الشعب، فلم تبحث هذه القضية بحثا جدياً ولم تحتل مكانتها في الاذهان، الا بعد تأسيس جامعة الدول العربية اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. وكان الرأي العام في مصر غيرمهيىء تماما لتقبل فكرة العروبة او القومية العربية كما يفهمها اهل الشام. وكانت فئة كبيرة من ادباء مصر ورجال الصحافة والزعماء السياسيين، يعكفون على اي بلد عربي، اسم البلد الشرقي، وكانت كلمة «شرقي» هي المستعملة في لغة الصحف والمجلات، بدل كلمة «عربي»

اي ان سورية في نظر تلك الفئة كانت بلدا شرقيا مثل الصين او اليابان.

وكنت اعلم ان الملك فاروق يحلم تارة باعلان نفسه خليفة المسلمين. فيطلق لحيته، ويحمل مسبحته، وتارة اخرى يحلق لحيته، ويحلم بأنه سيصبح امبراطورا للعرب.

ويبدو ان الاخ نذير، الذي عرف بعروبته منذ اسس مع الاستاذ زكي الارسوزي حزب العمل القومي، عرف كيف يداعب خيال الملك الواسع، ويستغل فيه هذا الطموح فعرض عليه مشروع الاتحاد بين سورية ومصر، فصادف هوى من نفسه. وقبولا حسنا فوريا.

فاروق قال لي

ودارت الايام، ومرت السنون سراعا، وشاءت الصدف ان يلتقي الاخ نذير بالملك فاروق ثانية في احد فنادق روما. وكان الاخ قد عاد الى ممارسة عمله الصحفي اثر الانقلاب على الشيشكلي ودخول البلاد في عهد دستوري جديد، سمح فيه بحرية الصحافة والرأي. وقد سافر الى ايطاليا للاستشفاء وهناك في روما التقى صدفة وبدون ميعاد، بالملك المخلوع. ودار بينهما حديث طويل عن الماضي القريب، وحدثه الملك فاروق باسهاب عن ماضيه في الحكم واعماله ودافع عن نفسه، ورد على بعض التهم التي وجهت اليه. وقد نشر هذا الحديث وأرى انه من المفيد، من وجهة النظر التاريخية البحتة، ان ادونه في هذا السجل فمن حق أي كان، ان يدافع عن نفسه امام محكمة التاريخ، ولو كان من كبار الطغاة او المجرمين.

معلوم ان اتهامات خطيرة قد سبق ووجهت الى فاروق، بعد خلعه من العرش، فاتهمه البعض بجنون العظمة واتهمه الاخر باللصوصية والخلاعة والمجون، ونشرت الصحف - بعد خلعه طبعا - المقالات

اللاذعة، والقصص الطويلة. تشهيرا به وبعائلته المالكة كلها منذ اسسها محمد علي الكبير، ولا أجد مانعا من ان نستمع بهذه المناسبة، مناسبة ذكر الوحدة بين مصر وسورية، في عهد الزعيم الى ما قاله فاروق بهذا الصدد.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى فقد يجد المهتمون بدراسة التاريخ العربي الحديث، وتحقيقه على اسس موضوعية مجردة عن الاهواء والنزعات الخاصة، مادة في حديث الملك المخلوع، تساعدهم على تدوين بعض فصوله بالشكل الذي يتوخونه من دقة وموضوعية.

وأثبت فيما يلي نص هذا الحديث كما نشر في حينه:

كنت مع السيد ضياء الدين معالي سكرتير السفارة السورية وقتئذٍ

روما في ٢٠ / كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٤.

اوتيل الاسلسيور..

كنا في بهو الفندق في اول الامسية عندما لمحت على غير انتظار الملك فاروق ولمحني.. وقد تجاهلته وتجاهلني.

تجاهلته، لا خوفا من ان أحداً يراني معه، كما يفعل كثير من اصدقائه القدامى - فلو كنت ممن يخافون لما كتبت هذا الحديث - ولكن اشفاقاً يثيره في النفس هذا اللقاء الاول بعد نزوله عن العرش.

وقد لحظت، منذ اول وهلة، ان فاروقاً قد تغير كثيراً وانا قد عرفته في ايام اقبال دنياه، وترددت على قصره في القاهرة والاسكندرية عدة مرات، ولم استطع - وانا أفاجأ به - الا ان اذكر آخر مرة رأيته فيها قبل ان تجري الحوادث بما جرت وكان ذلك في قصر المنتزه بالاسكندرية يوم علق على صدري وسام النيل.

لقد تغير فاروق، فجسده الضخم المعروف قد ازداد ضخامةً، ورأسه الاصلع المعروف قد ازداد صلعه وضوحاً، واما جبينه ووجنتاه فقد

غزتها التجاعيد، وظهرت عليها تصاريف الزمن، فلم يعد جبينه جبين الشاب النشيط المرح الذي كان في الماضي بلحيته، التي يثير اطلاقه اياها من الاستغراب في اوروبا اكثر مما كان يثير في مصر، وبشاربيه الاشقرين المبرومين وبنظاراته المضخمة، التي تلمح من وراءها عيناه النافذتان. وقد بقيتا كما كانتا في الماضي.

قلت اني تجاهلته وتجاهلني، ولكن لم يلبث ان جاء من اتباعه من همس في اذني:

جلالة الملك يرغب في رؤيتك.. في مطعم فيكتور.. عشية الليلة.

وفي العاشرة تماما كنت في مطعم فيكتور.

وقابلت فاروق وجها لوجه. وفي ومضة خاطفة طافت بذهني صور الاحداث التي صنعت تاريخ مصر، ومد يده ليصافحني ذلك الرجل الذي يحمل في رأسه كثيرا من اسرار ذلك التاريخ.

وسألني - كعادته القديمة - في دقائق حياتي، حتى لكأنما لم يكن في حياته هو ما يشغله من الاهتمام باحوال معارفه، سألني عن تجارتي، وعن ظروف سجني، وعن الاحداث التي عرفناها هنا في سورية، وشكرته، ثم انتقلنا الى جوهر الحديث، الى الحديث في الجانب العام.

وعندما بدأنا هذا الحديث وقلبنا الدفاتر القديمة، شرد الملك السابق في جلسته، واخذ يعبث بلحيته، وبدا عليه التأثر حتى لقد خيل الي ان هناك دموعا تتجمع في عينيه، واسترسل في حديثه ابعد ما يكون عن فكرة الناس عنه. وكما كنت اتوقعه منه.

بدأ يذكر اليوم الذي عاد فيه الى مصر، من انكلترا حيث كان يتلقى دراسته. ليخلف اباه في الملك، وهو ما يزال شابا يافعا، وكيف كان ذهنه مليئا بالاحلام والتمنيات لاسعاد شعبه وكيف كان مستعدا لعمل اي شيء يرى فيه رضاء هذا الشعب وتحقيق رفاهيته ولكنه ككل

ملك كان بحاجة الى العون والتضحية ممن حوله فاذا بكبراء مصر وزعمائها، ممن كان مفروضا فيهم ان يوجهوه الى اقامة حكم ديموقراطي سليم وان يدفعوه الى الاعمال الطيبة، جعلوا كل مهمتهم الموافقة على كل عمل يأتيه او رأي يشير به، وقال:

وحتى عندما كنت ارتكب خطأ وكثيراً ما وقعت في اخطاء، كانوا يشعروني بانها معجزات ملكية. وفي مثل تلك السن كان من الطبيعي ان اتأثر بهذا الكلام وانت تعرف ان تلك الفترة في حياة الناشيء يكون لها تأثير سلبي على حياته كلها فيما بعد.

لقد كانوا يقبلون يدي وكنت على يقين من انهم يفعلون ذلك منافقين. وكان كل واحد منهم يشي بزملائه، معتقدا ان هذا هو طريق التقرب إلي، فجرني ذلك الى التلهي بضرب واحدهم بالاخر، لقد اخطأت بلا جدال ولكنها اخطاء كل حاكم ومرجعها الاول يعود الى صغر سني وقلة خبرتي والى الحاشية السيئة التي كانت محيطة بي.

ثم بدأ الالم والاسى يزداد على وجهه وهو يقول:

خذ مثلا عبد العزيز بدر، هذا الذي رباني وكان استاذي في لندن وكان من اقرب الناس الى والدي وقد اخذت عن ابي حبي له. هذا الرجل كان اول من هاجمني بعد وقوع الانقلاب و« شنع » في وفي عائلتي.

واضاف:

وكان ذلك حالي ايضا مع كريم ثابت. رفعته من الحضيض. فلما جاءت الثورة لم يجد وسيلة للدفاع عن نفسه اسهل من اتهامي والقاء كل المسؤولية علي.

وسألته عن الثورة ورأيه فيها:

فقال: انا لا احقد على الشعب المصري لاني اعرف انه مسير بدعاية

قوية ضدي.

والتفت وقال: ان هذه الدعاية من مستلزمات الثورة ولم يكن لها غنى عنها وأضاف: أن الثورات تتطلب دائما ضحايا فلأكن أنا الضحية ولكني واثق ان التاريخ سينصفني.

كان يعلم

وقد عاد الى الماضي وقال: انه كان على علم بوجود حركة الضباط في الجيش، وذكرني بالحديث الذي دار بينه وبين حسني الزعيم وبحضوري في انشاص وانه ذكر له في ذلك الحديث علمه بوجود حركة في الجيش ولكنه يؤثر اخذها بالحكمة. وانه كان ليلوم شكري القوتلي لانه لم يأخذ الحركة التي بدت في صفوف الجيش السوري بالحكمة كذلك.

ثم هز رأسه وقال أسفا:

- ولكن دفعت ثمن حكمتي..

يكفيني اني لم الوث يدي بالدماء ولم اقتل انسانا واحدا.

اردت التستر على الضباط

ثم عرج على حديث الاسلحة الفاسدة وقضيتها وقال انها كانت احدى الاسس التي استند اليها الضباط في القيام بحركتهم وقد كثر اللغط حولها وتوترت الاتهامات من قبل قيام الانقلاب بسنتين.

وعندما استفاض الحديث في هذا الموضوع طلبت اضبارته ودرستها بنفسي. فوجدت ان هناك بعض المخالفات. والتصرفات غير القومية. ونهب للخزينة.. ولكن اردت التستر على بعض الضباط لاني اعتقد ان جميع جيوش العالم. وخاصة عندما تخوض معركة وتخسرها تقع فيها حوادث من هذا النوع، والجيش البريطاني نفسه بكل ما اشتهر عنه من امانة وحرص يتصف فيها الضباط والجنود على السوء كان بعضهم يبيع

المأكولات والاسلحة سرا للمصريين. وكان يقوم بذلك العمل بعض كبار الضباط.

المصري لا يخون

فلم يكن ما شكا منه الجيش المصري خيانات او اسلحة فاسدة. وانما كان اغراء وسرقات. وانا لا اعتقد ان هناك مصريا يخون بلاده. او يبيع لجيشها اسلحة فاسدة. لكن هناك غشا وقع من بعض الشركات واخطاء وقع فيها بعض الضباط. وقد جاءت الثورة وكان اول ما فعلته اعادة التحقيق في قضية الاسلحة الفاسدة. وقدمت بعض الضباط المتهمين الى المحاكمة امام محاكم الثورة، ولكنها اضطرت هي نفسها الى تبرئتهم

رجل لين وشباب مندفعون

وسألته عن رأيه في قادة الثورة..

فابتسم وقال انه يعرف اللواء محمد نجيب معرفة جيدة. وانه استغرب جدا ان يكون بطل هذه الحركة لانه اقرب الى الكياسة والليونة منه الى العنف والثورة وانه كان يعرف ان الثورة وراءها شباب مندفعون قد يكونون مخلصين. لكنهم مندفعون. ورجا لمصر. وقد عرفت اول انقلاب عسكري، الا يقع لها ما وقع لسورية..

وعلى ذكر سورية.. قال:

اني خلقت في مصر شيئا اسمه (القضية العربية) فلم تكن هذه القضية معروفة من قبل في مصر، واذا كان ينسب الي اني ادخلت الجيش المصري في حرب فلسطين فهذا ما افتخر به حتى الان، وسيفخر به ابني من بعدي.

لقد كنت اريد ان اخلق امبراطورية عربية. ولا يهمني ان اكون حاكمها ام يحكمها سواي وانت تعرف كذلك حديثي مع حسني الزعيم

في انشـــاص، يوم قررنـــا توحيـــد الجيشـــين المصري كنواة لهـــذه الامبراطورية الموجودة

وانا الذي كنت الح دوما على رؤساء الجيوش العربية للاجتماع في القاهرة. فقد كنت احلم باعادة مجد جدي ابراهيم.

مواقف للعروبة

ثم اضاف : الست انا الذي احببت سعد الله الجابري، وانا الذي حاربت الشيخ تاج، وانا الذي سعيت لاعادة شكري القوتلي سنة ١٩٤٢. وانا الذي هددت السفير الفرنسي في القاهرة يوم اعتقال بشارة الخوري والمرحوم رياض الصلح في بشامون وانا الذي ثرت وهددت بمصادرة املاك فرنسا يوم قصفت الطائرات الفرنسية مدينة دمشق عام ١٩٤٥، وانا الذي ساهمت في اجلاء الجيوش الاجنبية عن سورية ولبنان، وان الذي احتضنت الحاج امين الحسيني مع كراهيتي له، وانا الذي فتحت ذراعي للامير عبد الكريم الخطابي. وفي عهدي كانت القاهرة كما كانت بغداد في العصر العباسي ملتقى لزعماء العرب، ولقد سايرت حسني الزعيم حتى اضمن حياة شكري القوتلي، ورجعت بالقوتلي بعد وفاة حسني الزعيم. ورفعت الاعلام منكسة فوق قصري لمدة اسبوع حدادا على مقتل حسني الزعيم ومحسن البرازي.

وعند هذا الحد من الحديث عن هذه الذكرى بلغ تأثره درجة شديدة.

تجنيب مصر ويلات الحرب

وقال:

وهل يمكن لساسة مصر ان ينكروا انه في سنوات الحرب وفي مواجهة اكبر الاخطار. ورغم صغر سني، امكنني ان اواجه ذلك الظرف الشاذ بحكمة. وان انقذ مصر من شرور كثيرة؟

ثم قطع حديثه فجأة وقال:

ماذا اساءت عائلتي الى مصر؟ لقد أرسلت البعثات الى الخارج للتعليم، وابي هو الذي انشأ الجامعة. واعمال الري ونهضة الصناعة والزراعة، الم تتم جميعها على ايديهم اكان يجوز بعد ذلك ان يتهجم المتظاهرون في القاهرة على تمثال والدي الملك فؤاد ويحطموا بعض اجزائه؟

حريق القاهرة

قلت له:

يتهمك خصومك بانك كنت تتسلى بتشكيل الوزارة واقالتها. وانك انت المسؤول عن حريق القاهرة.

فعلت وجهه سحابة من الالم، واجاب:

هذه كلها افتراءات. وما يزال حولها كثير من الحقائق الخافية. ولم يحن الاوان بعد لازاحة الستار عن اسرارها.

دفعوا دمهم

قلت: والاخوان.. ما رأيك فيهم وما موقفك منهم؟

اجاب:

اني شعرت بخطر الاخوان المسلمين منذ زمن بعيد، وقد نبهت المرحوم احمد ماهر الى خطرهم وطلبت منه ان يتدارك الامر قبل ان يستفحل، ولكنه لم يكترث لكلامي، وكانت النتيجة ان دفع المسلمون دمه ثمنا لموقفه.

وجاء النقراشي ونبهته ايضا، ولكنه كان أطيب قلبا من احمد ماهر وكان من انزه السياسيين المقربين الي، ولم يشأ بدوره ان يتخذ اجراء حيالهم. وكانت النتيجة ان دفع هو الاخر دمه ثمنا لموقفه رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

ثم جاء ابراهيم عبد الهادي وضرب ضربته، وسلمت مصر من هؤلاء الناس لفترة من الزمن.

ولكن لما جاءت الثورة وكانت طوال ايامها الاولى صديقة لهم لم أكن اتصور ان النزاع بينها وبين الاخوان سيصل الى هذا الحد، فلم يكن يجول بخاطري ان يجرأ عبد الناصر على شنق قادتهم ولكنني للآن وبعد كل ما حدث لست مطمئنا الى سلامة مصر وقاها الله من كل سوء.

ولعلي بنشر هذا القدر من الحديث اكون قد عرضت بعض دفاع الملك السابق فاروق واكون قد اتحت للقراء ان يستمعوا الى وجهة النظر، في كثير من المسائل التي طالما لاكتها الصحف طوال الشهور الثلاثين الاخيرة.

كانت الساعة قد بلغت الخامسة صباحا وتنفس الصبح يقطع على روما الخالدة هدوءها وركونها ودعت الملك، وما ان بلغت الفندق حتى شعرت بالالم يحز في نفسي لامن ذكريات ملك اضاع الملك ولا بسبب ما قاساه من آلام، ولكن بسبب بسيط واحد هو اني نسيت ان اذكر في حضرته اني عدت صحفيا.

اختلاف التيارات الايديولوجية: موقف الزعيم من الشيوعيين والبعثيين والاشتراكيين

تنازعت عهد الانقلاب العسكري الاول، تيارات ايديولوجية وسياسية متباينة، اذكر منها ما يلي:

الاتجاه الاول - ويتزعمه العلامة فارس الخوري، يؤيده فيه اسعد الكوراني، ونذير فنصه، ولفيف كبير من الساسة المخضرمين وهو كما

سبق وذكرت. ينحصر هدفه في اطفاء النيران التى شبت في الدار ونعني بها نيران الانقلابات العسكرية. والعودة بالبلاد. وبالتدريج الى عهد دستوري جديد، يكون لحقوق الانسان فيه المقام الاول، ومن ثم تعديل قانون الانتخابات واقامة نظام دستوري على اسس ديموقراطية سليمة، يكون القانون هو السائد، على ان يستغل هذا الانقلاب العسكري للاصلاح والتقدم، على قدر المستطاع في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعلى ان يعمل رجال السياسة متضامنين لتجنب ويلات تدخل الجيش في السياسة.

الاتجاه الثاني - ويتزعمه الاستاذ اكرم الحوراني، وميشيل عفلق وصلاح البيطار، وهو ينادي باصلاح انقلابي فوري، جذري، على اسس اشتراكية مهما كلف الامر، ومهما كان الثمن غاليا.

الاتجاه الثالث - ويتزعمه رشدي الكيخيا وناظم القدسي، زعيما حزب الشعب ويقول بوجوب انسحاب الجيش فورا الى ثكناته، واعادة الامور الى نصابها الطبيعي في جميع الاحوال والظروف.

اما الحزب الوطني، فكان يدعو الى المهادنة مع الجيش، والسعي لانتخابات جديدة، يحصل بنتيجتها على اكثرية المقاعد في البرلمان، بعد ان خسر الكثير منها امام منافسة حزب الشعب له.

وبين هذه الاتجاهات والتيارات، وقفت البرجوازية الناشئة موقف الخائف الوجل من نوايا الزعيم في الاصلاح القضائي والاقتصادي والمالي الضرائبي.

اما، اكثر شيوخ الطوائف، فقد خشوا في الزعيم رغبته في ازالة كل اثر من آثار الطائفية البغيضة، إذ بازالة هذه الاثار، زوال لما يتمتعون به من نعم ونفوذ واستقلال.

الزعيم والشيوعية

اما الشيوعيون، وهم قلة في البلد، ولكن اثرهم الايديولوجي لا ينكر في صفوف المثقفين قبل العمال انفسهم، فقد زج الزعيم بالمئات منهم في السجون وهم الوحيدون الذين اعلنوا عداءهم للزعيم وانقلابه. وواصلوا نشاطهم في مكافحة حكم الانقلاب، وذلك بتوزيع النشرات بالوسائل السرية المألوفة لديهم.

وقد اطلعت على بعض من هذه المناشير، فاذا بها تتهم الزعيم بمسايرة ركب الامبريالية العالمية، ووصفته احداها بالختل والكذب على الناس، وطالب الشيوعيون باعادة الحياة النيابية الدستورية الى البلاد على الفور، وقالوا ان الانقلابات العسكرية ستجر البلاد الى الدمار والخراب، وان التغيير المطلوب، والاصلاح المنشود، يجب ان يصنعه الشعب بنفسه.لا عن طرق الانقلابات المشبوهة.

وقد زارني اوائل شهر ايار (ماي) من العام نفسه، الاستاذ كلوفيس مقصود. وهو شاب لبناني يتمتع بقسط وافر من الثقافة، ويعمل في مراسلة بعض الصحف الاجنبية (ثم اصبح فيما بعد مندوب لبنان في هيئة الامم المتحدة) وطلب الي ان ارتب له مقابلة مع الزعيم، لاخذ تصريح منه عن الوضع الجديد، ونشره في الصحف الاجنبية، وكانت مراجعة الزعيم ليست من الامور السهلة، بسبب كثرة الوفود والمراجعين من وطنيين واجانب، ومع ذلك تمت هذه المقابلة. واستمعت الى الزعيم يحدثه عن مشاريعه الاصلاحية. وما ينوي القيام به في المستقبل من مجيد الاعمال.

وسأله الصحفي على حين غرة:

- ما رأيكم في الشيوعية؟

وهنا ضحك الزعيم ضحكة فاترة وقال: انتم مراسلي الصحف

الاجنبية تطرحون علي دائما مثل هذا السؤال ما رأيك في الشيوعية؟

انا اقول لك بكل صراحة ان الشيوعية لا تكافح بالقوة، ولا بالسجون والمعتقلات.. ان الشيوعية لا يزول خطرها. الا بزوال الفقر والجوع والجهل والمرض. فاكتب ذلك عن لساني.. ان الشيوعية لا اثر لها يذكر في مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية ولا يبقى فيه عاطل عن العمل.

هكذا تكلم الزعيم بصراحة وجرأة.

ولا أدري من اين هبطت عليه هذه الافكار. ومن أين جاءته هذه الحكمة، وعجبت لتصريحه هذا الذي يتنافى وزجه بالشيوعيين في اعماق السجون.

لا أنكر أني لحظت عليه بارقاً من ذكاء...

والتقطت لنا الصور حسب العادة وهمس الاستاذ مقصود في اذني ان قل لصاحبك ان يبتسم اثناء التصوير، لان الاجانب لا يحبون صور الجنرالات العابثين المقطبين. ففعلت، ولاول مرة التقطت صورة للزعيم وهو يبتسم!

وهكذا نرى ان الدكتاتوريات العسكرية، مهما حاولت كمّ الافواه. والقضاء على كل من يخالفها في الرأي يظل الشعب بطبيعة الحال عرضة لمختلف التيارات الفكرية والايديولوجية والسياسية، ولا يمكن لاحد ان يقف سدا في وجه التيار التاريخي. ولعل في البرتغال واسبانيا، التي حكمها دكتاتوران صارمان، طيلة اربعين سنة ثم ما لبثا ان تفجرتا بالثورة على الدكتاتورية فور رحيلها. خير مثل على صحة ما نقول.

ان عهد الفاشيات آخذ بالافول

اين الدستور الجديد وحقوق الانسان؟

بتاريخ ٣٠ /٤/ ١٩٤٩، زرت الاستاذ اسعد الكوراني، وزير العدل في فندق امية حيث كان يقيم، وسألته عما جرى في لجنة الدستور الذي عين رئيسا لها فقال:

«ان الدستور الجديد تبنى ميثاق حقوق الانسان، الذي اقرته منظمة الامم المتحدة أخيرا، لذلك ستكون سورية السباقة بين اعضاء المنظمة الدولية في هذا المضمار، وسيكون دستورها الاول من نوعه باعتباره دستورا عالميا يرتبط بوثيقة انسانية صدرت عن اكبر المشرعين في العالم.»

واضاف لا فض فوه:

لكنه لما استتب الامر له، وبايعته البلاد بالزعامة من شمالها الى جنوبها، ومن شرقها الى غربها. حدثت القطعية بينه وبين جميع الاحزاب والفئات السياسية، فابعد عنه اكرم الحوراني. ونفر منه حزب الشعب، ومن ثم حزب البعث، وسلم انطون سعادة، زعيم الحزب السوري القومي الى الحكومة اللبنانية التي حكمت باعدامه... وزج بالشيوعيين في السجون..

وهكذا تألب ضده الشعبيون والقوميون السوريون، والاشتراكيون الحورانيون، والبعثيون، والشيوعيون، وسايرهم في نقمتهم كبار الرأسماليين، وارباب الصناعات، الذين بدأوا يوجسون خيفة من مرامي الزعيم الاصلاحية، لا سيما فيما يتعلق بالاصلاح المالي الضرائبي، وفرض الضرائب الاستثنائية على الارباح لسد عجز الخزينة.

وبطبيعة الحال لم تكن الفئات الرجعية المتزمتة لترضى عن رجل يدعو الى المساواة بين الرجل والمرأة!

ولم يجد له حليفا في هذه المعمعة سوى بعض زعماء الحزب الوطني وجماعة من السياسيين المحايدين، المؤملين بامكان الاصلاح عن طريق الانقلاب.

وفي رأيي ان جميع ذوي النوايا الطيبة، المتطلعين الى اصلاح حقيقي في اجهزة الدولة، ونظام الحكم، قد ارتاحوا كثيراً لصدور القانون المدني. وقانون حل الاوقاف الذرية. ثم مراسيم فرض الضريبة التصاعدية التي استثنت ذوي الدخل المحدود. من عمال وفلاحين وصغار الكسبة، وكان المقال الافتتاحي الوحيد الذي كتبته بتأييد سياسة الزعيم، ذلك المقال الذي نشرته في الف باء في عددها رقم ٨٠٨٢ بتاريخ ١٠/ ٨/ ١٩٤٩. اذ جاء فيه ما مؤداه:

ان السياسة المالية الجديدة للدولة. لا تشمل في فرضها الضرائب التصاعدية الاستثنائية العامل والفلاح. ولا التاجر الصغير، او ذي الدخل المتوسط او المحدود، بل انها ستوزع بالعدل، وبنسبة معقولة على اولئك الذين تناولوا الدولارات والاسترليني ابان الحرب الماضية واستوردوا بها «الكوتا» وعلى التجار الذين تناولوا القطع النادرة، وباعوها في السوق السوداء، وجنوا ثروات ضخمة، كما تشمل اولئك الذين هربوا رؤوس اموالهم الى الخارج، وجميع هذه الضرائب ستفرض على اساس الحسابات المنظمة، وليس في ضريبة نسبتها ٢٠٪ على ارباح الشركات ما يعيق عمل وانتاج هذه الشركات. ان من حق الدولة اية دولة في العالم في الشرق والغرب. ان تصون حقوق الشعب. وان تحفظ حق الخزينة لتقوم باعباء الاصلاحات المنشودة».

على ان شراع السفينة كان اكبر من السفينة نفسها. ولذلك غدق الربان كما قال الخوري.

سأشنق الملك عبد الله.. في المرجة

بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٩٤٩، دعا الزعيم الى مؤتمر صحفي في مقره بقيادة الاركان العامة. فلبى الصحفيون ومراسلو وكالات الانباء والصحف الاجنبية الدعوة، وكان على رأسهم نقيب الصحفيين الاستاذ نصوح بابيل صاحب جريدة الايام.

لاحظت منذ الوهلة الاولى لدخولي قاعة الاجتماعات في الاركان. ان الزعيم كانت تبدو عليه معالم الغضب والعصبية. فاستهل تصريحه بدون مقدمات بحملة شعواء على الملك عبد الله، عاهل الاردن، ونوري السعيد والوصي على عرش العراق. وقال ان هؤلاء لم يعترفوا بالوضع الجديد في سورية، وانهم يتآمرون عليها، ويبيتون لنا المؤمرات وقد اسفروا عن نواياهم العدوانية بحشدهم قواتهم على الحدود السورية. بغية تحقيق مشروعهم المسمى بالهلال الخصيب، او مشروع سورية الكبرى.

ثم بدأ بشتم الملك عبد الله شتما قبيحا. وتملكه غضب شديد وصرخ مهددا:

لسوف آتي بالملك عبد الله الى دمشق... واعلق مشنقته في المرجة.. ولسوف اشنقه من.... (كذا) وعندئذٍ. ولست ادري ما الذي دفعني الى مقاطعته وهو في ثورة غضبه، فقلت:

- ولكن يا سيدي. هذا كلام لا يصلح للنشر. وانتم يجب ان تكونوا فوق مستوى هذه التصريحات، وساد جو القاعة وجوم صعب رهيب.

ونظر الي الزعيم نظرة حادة بطرف عينه وقال بحدة:

- اسكت انت.. ولا تقاطعني.. هل ستعلمني ما يجب ان اقول او لا اقول.

وسكت انا ونظر الي الصحفيون بدهشة. وتابع الزعيم حملته على حكام الاردن والعراق وانفض الاجتماع في جو يسوده التوتر الشديد.

وعند مصعد الاركان. امسكني الاستاذ حبيب كحالة صاحب «المضحك المبكي» من يدي وقال:

- امجنون انت ما لك وله، لماذا قاطعته بهذا الشكل اياك ان تعود الى مثلها.. «ان هذا الرجل ما معه لعبة»

قلت ولكننا هكذا تعودنا في المؤتمرات الصحفية، في مختلف العهود السابقة، حتى في عهد الانتداب نسأل ونقاطع ونبحث مع المسؤولين والكبار في شتى الامور، ولكل رأيه فلا نجد احدا منهم يغضب علينا او يثور، وانت تعلم اني اول من حمل من الصحفيين على مشروع سورية الكبرى، وسواه من المشاريع المشبوهة. ولكني لا اقر نشر مثل هذه التصريحات الهوجاء وبتلك اللغة المستهجنة.

قال: تلك عهود ولت ومضت...

وعدت الى ادارة جريدتي وانا اتوجس خيفة مما حدث، وكنت لا استغرب ان تأتي سيارة جيب عسكرية لتنقلني الى احد المعتقلات.

ولكن شيئا من هذا لم يحدث، فقد تلقيت بعد قليل من مديرية المطبوعات بيانا مطبوعا على الالة الكاتبة يتضمن تصريح الزعيم المشار اليه، فقرأته بامعان، فلم اعثر فيه على كلمة نابية واحدة مما تلفظ به الزعيم خلال مؤتمره الصحفي، بل جاء بلا بصيغة التصريح السياسي المهذب يصح نشره على الملأ، فبعثت به الى المطبعة.

وكتب احد الصحفيين معلقا على هذا التصريح بقوله:

«بعد تصريح الزعيم هذا. فاننا نحتفل بجنازة مشروع سورية الكبرى، والهلال الخصيب الغريبين عن تفكير العرب كأمة ذات اهداف سامية في الوحدة الكبرى، وان سورية حريصة على حدودها واستقلالها.

وهي مستعدة ان تفدي ذلك بالثمن الغالي كما قال الزعيم.. الخ. »

تكذيب خبر ضم الاردن الى سورية

غير ان الزعيم مضى في اطلاق التصريحات ضد العراق والاردن. وهدد وتوعد بضم الاردن الى سورية بالقوة، وتناقلت وكالات الانباء هذه التصريحات فأحدثت دوياً في الخارج فما كان من مديرية الأنباء الاّ أن نفت هذا الخبر نفياً قاطعاً.

خرق حظر الاسلحة المفروض على سورية/ فرنسا تقرر تسليح الجيش السوري - نجاح مهمة سكرتير الزعيم في باريس

وصل في ١٩٤٩/٦/١٦ الى دمشق من مصر وفد يمثل منظمة « الاتحاد العربي » وعلى رأس هذا الوفد بهي الدين بركات « باشا » وتوفيق دوس « باشا » والدكتور اسعد سلهب، وكلهم من كبار الشخصيات المصرية في العهد الملكي، ومن الوزراء السابقين وقد زار هذا الوفد الزعيم في مكتبه بالاركان العامة.

بعد يومين من وصول الوفد الى دمشق، كلفت بمرافقته لزيارة الجبهة السورية، وقد صحب هذا الوفد اللواء عبد الله عطفة. وفي الجبهة هناك. شاهدت العقيد سامي الحناوي على رأس القوات المرابطة في الخطوط الامامية، وكان يبدو عليه الارتياح التام. ولم يعتقد احد في انه سيكون « بطل » الانقلاب الثاني. نظرا لما كانت تربطه بالزعيم من صداقة وثيقة.

وبعد الظهر وصل الزعيم نفسه الى الجبهة يرافقه عدد من اركان حربه. واقيمت للضيوف مأدبة غداء تصدرها الزعيم، وتحدث خلالها الى اعضاء الوفد المصري عن اهدافه في تعزيز قوى الجبهة.

وبعد الانتهاء من تناول الغداء، استوقفني الزعيم في بهو النادي وانتحى بي جانبا واخرج من جيبه رسالة وقال لي: خذ فاقرأها.



باريس، مع الوفد السوري.

قرأت الرسالة بسرعة، وكانت موجهة اليه من الاخ نذير من باريس، وفيها يحيطه علما بنجاح مهمته الرسمية، وبموافقة الحكومة الفرنسية. على تزويد سورية بما تحتاج اليه من سلاح حديث ولا سيما الدبابات.

ولما اعدت اليه الرسالة قال: ها قد حققنا لاول مرة خرقا لحظر السلاح المفروض علينا ويبدو ان « نذير » قد اصاب نجاحا فى مهمته.

واذكر هنا، انه بعد ان لقي الزعيم مصرعه. وزج بنذير في سجن المزة، قدم بعدئذ الى محكمة خاصة بتهمة عقد صفقة اسلحة مع فرنسا لقاء عمولة ما. وقد عقدت هذه المحكمة برئاسة القاضي النزيه عبد الوهاب الطيب. ومثل النيابة فيها السيد الميداني. وقد استندت النيابة في اتهامها الى اقوال الصحف في هذه القضية. وكان دفاع نذير ان مهمته اقتصرت على المفاوضات السياسية لهذه الغاية فقط، اما صفقة الاسلحة فقد عقدتها مع الحكومة الفرنسية لجنة من كبار الضباط السوريين المسؤولين. وهذا اختصاصهم هم وليس اختصاصه. واستدعت

المحكمة الشهود من هؤلاء الضباط فأجمعوا بافادتهم على ان نذير فنصة لا علاقة له البتة بشراء الاسلحة. وان الصفقة تمت وفق الاصول، وعلى هذا الاساس برأت المحكمة ساحته من التهمة المعزوة اليه.

محاولة تأليف شركة كبرى للسيطرة على الشرق الاوسط:

وفي الوقت نفسه، وبتاريخ ٢٣ /٧/ ١٩٤٩ حملت الينا الانباء ان مؤتمرا للشرق الاوسط سيضم الولايات المتحدة الاميركية، وبريطانيا، وفرنسا، قد تقرر اجتماعه قريبا، وان المستقبل القريب سيشهد قيام نوع من «الشراكة» بين هذه الدول لتوطيد نفوذها في الشرق الاوسط. وخاصة في المنطقة العربية.

ونشرت جريدة «لو موند» الفرنسية الشبيهة بالرسمية، مقالا افتتاحيا تحت عنوان «بريطانيا تعيد النظر في برامجها» عالجت فيه موضوع السياسة البريطانية في الشرق الاوسط، وقالت ان حكومة حزب العمال، لعبت خلال السنوات الخمس الماضية بأوراق مختلفة. ويظهر انها حسرت الان معظم هذه الاوراق التي كانت تتمتع بها. والظاهر ان وزير الخارجية البريطانية، بعد أن أقصى معظم المسؤولين عن السياسة العربية من وزارته يريد اليوم ان يعود بالقضية الى نقطة انطلاقها الاولى.

وشرحت الجريدة الموقف الاقتصادي في الشرق الاوسط ومصالح الدول الغربية فيه. وارتباط دوله بالكتلة الاسترلينية التي بدأت تتدهور، ويحل محلها الدولار اما من الناحية السياسية، فيلاحظ ان رجال الحكم في العراق والاردن ومصر يعلنون استعدادهم الطيب نحو بريطانيا (ولم تذكر الجريدة هنا سورية) ولكن الرأي العام في البلدان العربية معاد كثيرا لبريطانيا، كما ان المشاريع البريطانية والهاشمية التي يتزعمها الملك عبد الله، ملك الاردن، تصطدم بمعارضة سورية. والمملكة العربية السعودية ومصر.



اعضاء البعثة السورية عند قيد اسمائهم في سجل التشريفات لمناسبة وصولهم الى الاسكندرية مع محسن البرازي

وقالت الجريدة: ان فرنسا تريد شراكة ثلاثية بين اميركا وفرنسا وبريطانيا، في الشرق الاوسط تأخذ بعين الاعتبار قيام دولة اسرائيل فيه.

وهذا المقال التحليلي في جريدة «لو موند» يعطي القارىء صورة واضحة عما كانت عليه حال السياسة الامبريالية آنئذ آثرت تلخيصه نظرا لاهميته في مجرى الاحداث التي وقعت في سورية هذا الجزء الحساس من الوطن العربي.

المفاجأة بتعيين محسن البرازي رئيساً للوزارة الجديدة:

ما ان تولى المشير «المارشال» حسني الزعيم رئاسة الجمهورية. وما كادت الوزارة المستقيلة تخرج من القصر الجمهوري، حتى استدعى «المشير» الدكتور محسن البرازي، وعهد اليه بتشكيل الوزارة الجديدة.

وفي مساء ١٩٤٩/٦/٢٦، صدرت المراسم بتأليف الوزارة الجديدة برئاسة الدكتور محسن البرازي، وقد ضمت الوزراء السابقين

انفسهم باستثناء اسعد الكوراني، وزير العدل، الذي استبعده البرازي من الوزارة وعين محله الامير مصطفى الشهابي.

وقد استغرب الكثيرون، حتى الوزراء انفسهم، عدم دخول الاستاذ الكوراني في الوزارة مع ان الزعيم نفسه قال قبل ايام انه سيحتفظ في الوزارة الجديدة بالسيدين نوري الايبش، واسعد الكوراني نظرا للكفاءات الممتازة التي يتحليان بها.

وقد علمت فيما بعد ومن الاستاذ الكوراني نفسه، ان ليس من تفاهم سابق بينه وبين محسن البرازي وان خلافا في وجهات النَظر كان قائما بينهما قبل الانقلاب. وقال الكوراني انه يشك في اخلاص البرازي للعهد وانه يشكل خطرا على الحكم.

هذا ويقول الاستاذ فتح الله الصقال، وزير الاشغال العامة في الوزارتين السابقة واللاحقة، في مذكراته عن حكومة الزعيم ان الكثيرين فوجئوا برغبة الزعيم في تعيين الدكتور محسن البرازي رئيسا للوزارة الجديدة. وعند مقابلتي الزعيم في مقره بالاركان العامة قبل انتخابه رئيسا للجمهورية قال اني سأحتفظ بكم وبالسيدين اسعد الكوراني ونوري الايبش في الوزارة الجديدة، فشكرناه على ثقته بنا، ثم شعرنا ان الزعيم هائم في عالم الافكار وما لبث ان بادرنا بقوله:

- من هو الشخص الذي يحسن برأيكم ان يكون رئيساً للوزارة؟

ولم نكن نتوقع ان نفاجأ بهذا السؤال، ولا سيما واننا كنا عالمين بانه تقرر منذ اللحظة الاولى ان تسند رئاسة الوزارة الى السيد محسن البرازي.

فقلنا له: لم نتعود التدخل في ما لا يعنينا، وما دمتم قد طرحتم

علينا هذا السؤال. فاسمحوا لنا ان نبدي رأينا بحرية.

ان رأيي الخاص هو:

أولا - ان تؤجلوا الاستفتاء ريثما ينتهي مجلس الوزراء من وضع اسس الدستور مؤسس الانتخابات. كي لا يقال انكم تستغلون الموقف، لفرض انتخابكم على الامة فرضا.

ثانيا - ان الشعب مغتبط كل الاغتباط بالعهد الجديد، وسيقدم لكم مجلس الامة المقبل، رئاسة الجمهورية هدية خالصة. رمزية الهدية ارفع من الطلب والاستجداء (كذا).

ثالثاً - متى اصبحتهم رئيسا للجمهورية فقدتم السلطة التنفيذية التي تستعينون بها اليوم على تنفيذ المشاريع العمرانية والاجتماعية الكبرى.

رابعاً - اما اذا كنتم تصرون على الاستفتاء وعلى تشكيل وزارة جديدة فانه يستحسن ان يكون رئيس الوزارة الجديدة من اصحاب الوجوه الجديدة.

فحدق الينا الزعيم مليا وقال: ربما كنتم على حق فيما تقولون، ولكن الدول الاجنبية تلح علينا في ان تصبح سورية دولة دستورية.

كان الصقال - رحمه الله - مخلصا جدا في نصحه للزعيم. بوجوب ابراز وجوه جديدة للحكم. وفي التريث في استيلائه على رئاسة الجمهورية.

وفي الواقع اني فوجئت بدعوة الدكتور محسن البرازي الى استلام الوزارة. فالمعروف عنه، انه من اخلص المخلصين للسيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السابق. وانه كان يمثل العهد الماضي بحسناته وسيئاته واني شخصيا، بحكم خبرتي برجال السياسة. كنت اعرف البرازي معرفة تامة واكن له كل احترام فهو في الواقع رجل علم مارس الحكم مدة

طويلة، وله خبرة واسعة في شؤون السياسة الخارجية وخاصة العربية منها. وهو من انصار التحالف المصري السوري ضد الاحلاف الاجنبية ولكنه في الوقت نفسه كان بحكم عقليته كاستاذ جامعي، لا شعبية له بين الناس، ولا يأبه بالرأي العام، وكان بعيداً كل البعد عن الغوغائية والدعاية لشخصه، ولم يكن يميل الى ارضاء هذا وذاك من زعماء الاحياء. وعودته الى الحكم في مثل هذا الظرف، وفي مثل عهد كهذا العهد. قد كون لدى الرأي العام فكرة عن لا اخلاقية الرجل، وشعبنا لا يزال يقيم وزنا كبيرا للعلاقات الشخصية، والوفاء والاخلاص بين الرجال من حكام وغير حكام.

كان اول تدبير سيء لجأ اليه الدكتور محسن البرازي. فور استلامه رئاسة الوزارة ان اصدر قرارا بتنحية الدكتور اسعد طلس، عديل اللواء الحناوي، عن جميع مناصبه في الخارجية والدفاع الوطني ،وإعادته الى سلك التعليم.

شرارة الانقلاب الثاني:

وقد جاءني الدكتور طلس، بعد صدور قرار التنحية هذا، الى ادارة الجريدة، وكان مكفهر الوجه شاحبه وقال:

- ارأيت ما فعل بي محسن البرازي.. هل هذا جزاء سنمار؟ هل هذا جزاء اخلاصي لعهد الزعيم؟. اعود بعد هذه السن وبعد تلك المناصب التي شغلتها الى تعليم الاولاد؟

وادركت ان الرجل محق في شكواه، وان لاشيء يسيء الى موظف في الدولة مثل امتهان كرامته، تجاوز التسلسل في الوظيفة بحقه، وتخفيض رتبته او راتبه. فلا يعود له رأس يرفعه بين الناس.

كان الخلاف بين الرجلين مستحكما مذ كان البرازي في وزارة الخارجية، ولست ادري سببا لهذا الخلاف بينهما. ولكن مهما كانت

دوافع البرازي قوية في تنحية الدكتور طلس عن مناصبه فان تصرفه هذا اعتبر خطأ كبيرا، بل اني اعتبرته الشرارة الاولى لاندلاع الانقلاب الثاني. وسببا رئيسياً من اسبابه، وقد ادى فعلا الى اطاحته بالعهد ومصرع الزعيم والبرازي في آن واحد على يد سامي الحناوي عديل اسعد طلس وصديقه الحميم.

قلت في مقدمة هذا الكتاب. ان العلاقات العائلية، والروابط العشائرية، والصلات الشخصية، تلعب دورا كبيرا في سياسة الدولة السورية، وها ان الاحداث التي تلت تولية محسن البرازي رئاسة الوزارة. قد اثبتت بما لا يقبل الشك، صحة هذه النظرية، وصواب هذا الرأي.

ان الدكتور اسعد طلس لم يسكت على الاهانة التي لحقت به، وصمم بالتعاون مع عديله اللواء الحناوي على الانتقام. وانتقم فعلا، وكان انتقامه رهيبا!

قد يقول بعض المحللين السياسيين، من ذوي الاطلاع على خفايا الامور، ان الزعيم ورئيس وزرائه ذهبا ضحية الصراع على مناطق النفوذ بين الامبريالية الاميركية، والسياسة البريطانية التقليدية في الشرق الاوسط، وقد يكون هذا الرأي على جانب كبير من الصواب. ولكن عملاء الامبريالية البريطانية عرفوا كيف ينفذون الى بواطن الامور، وفي صميم العلاقات العائلية والشخصية بين مختلف رجال السياسة في البلد. وعرفوا ما جرى بين اسعد طلس والبرازي. وعلموا بما كان يربط بين اسعد طلس والعائلة الالوسية في العراق من روابط القربى، وصلات النسب، فاستغلوها الى ابعد الحدود، للقضاء على حسني الزعيم وحكمه، ومن المعروف ان عائلة الالوسيين الواسعة النفوذ والتي تدعم حكم نوري السعيد في العراق، كانت صلة الوصل بين هؤلاء واولئك، فتم الانقلاب الثاني بتأييد من نوري السعيد ومن هم وراء

لوري السعيد.

انها قصة غريبة، قد لا يعلم بها الا نفر قليل من رجال الحكم والسياسة. ولكنها الواقع بعينه، والواقع في كثير من الاحيان اغرب من الخيال، ومعظم النار من مستصغر الشرر ولا سيما في بلد مثل سورية...

وبهذه المناسبة اذكر ان الدكتور محسن البرازي تلقى برقية «شعرية» من الشاعر الحلبي الاصل عادل غضبان، المقيم في مصر. والذي يرأس تحرير مجلة «الكتاب» المصرية يطرى فيها مناقبه فيقول:

دعاك الزعيم فلب النداء فأنت له الساعد الايمن
تحط السفين بشط السلام اذا كان ربانها محسن

ولكن ربان هذه السفينة، رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له ولنا، كان السبب الاول في غرق السفينة.

عقد اتفاقية الهدنة بين سورية واسرائيل

في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الاربعاء العشرين من تموز (يوليو) ١٩٤٩، توجه اعضاء الوفد السوري في مفاوضات الهدنة برئاسة الزعيم سلو، وعضوية العقيد محمد ناصر، والرئيس عفيف البزرة، والمستشار الحقوقي السيد صلاح طرزي الى الحدود السورية[١]، ودخلوا المنطقة الحرام حيث كان بانتظارهم ممثلو هيئة الامم المتحدة وعلى

(١) المنطقة بين سمح ونهر اليرموك منطقة غير محتلة - سورية تسجل تحفظاً بحقها في حال العدوان على اي بلد عربي مجاور لاسرائيل الفريق عفيف البزرة. واللواء فوزي سلو والعقيد الشهيد محمد ناصر هم الذين وقعوا على اتفاقية الهدنة باسم سورية.

رأسهم المسيو فيجه، والجنرال رايلي. وكان الوفد الاسرائيلي قد بلغ مكان الاجتماع في طريق مثار - روشبينا تحت خيمة منصوبة لهذه الغاية.

وبعد تبادل الخطب بين الوفود، انتهت مراسيم الجلسة، وتم التوقيع على الهدنة بين سورية واسرائيل.

وتميزت اتفاقية الهدنة هذه بالملاحظات الهامة التالية:

١ - ان خطوط وقف القتال الحالية تصبح بموجب المادة الخامسة من الاتفاق خط الهدنة.

٢ - ان المنطقة الكائنة بين حدود سورية وفلسطين. تصبح منطقة عزلاء، وبتعبير آخر منطقة منزوعة من السلاح.

(ويلاحظ ان قطاعي الدردارة وعين كيب يدخلان في هذه المنطقة العزلاء)

٣ - تعود الحياة المدنية الى المنطقة العزلاء، ويعود السكان العرب الى قراهم. وحيث وجدوا يخضعون لادارة عربية تحت اشراف رئيس لجنة الهدنة، او من ينتدبه لهذه الغاية.

٤ - مما تتميز به هذه الاتفاقية التصريح الجازم في المادة الثانية منها بان الاتفاق جرى لاعتبارات خاصة، ولا تدخل فيه الاعتبارات السياسية.

هذا وعلمت ان من بين تحفظات الجانب السوري تحفظاً يفيد انه في حال نقض الهدنة من الجانب الاسرائيلي، على اية جبهة من جبهات الدول العربية الاخرى، فان الجانب السوري يحتفظ لنفسه بحرية العمل.

وهذا ما صرح لنا به الزعيم سلو والسيد طرزي في القصر الجمهوري فور عودة الوفد من الحدود بعد التوقيع على اتفاقية الهدنة.

واری انه من المفيد للقارىء العربي، ان اسجل بهذه المناسبة، خلاصة لاتفاقية الهدنة المذكورة فيما يلي، نظرا لاهميتها التاريخية، واثرها البارز في مستقبل المفاوضات الدولية الجارية حتى الان لحل مشكلة فلسطين:

١ - بنى الاتفاق على اساس خطوط القتال الحالية على ان يمر خط الهدنة في منتصف المسافة التي تفصل بين خطي القتال.

٢ - المنطقة الكائنة بين خط الهدنة والحدود السورية (قطاعا عين كيب والدردارة) منطقة عزلاء.

٣ - المنطقة الكائنة بين سمح ونهر اليرموك منطقة غير محتلة اي لا يجوز للقوات الاسرائيلية الدخول اليها وكذلك المنطقة الكائنة بين خط الهدنة، وخطوط القتال الاسرائيلي، فهي منطقة غير محتلة.

٤ - المنطقة الكائنة على جانبي خط الهدنة وعلى مسافة ٦ كيلومترات عمقا محدودة التسلح، اي مخفضة القوى، يسمح لقطاعات معينة دفاعية بالتمركز فيها والتجول لاغراض دفاعية فقط.

٥ - المنطقة العزلاء: هذه المنطقة غير خاضعة لسلطة احد الطرفين وهي تدار محليا، فالقرى العربية تدار بادارة عربية، والقوى الاسرائيلية تدار بادارة اسرائيلية. تحت اشراف هيئة الامم المتحدة، ولا يسمح بالدخول اليها الا لسكانها الاصليين، ولا يسمح لقوات

الطرفين ان تدخلها مطلقا، ويؤمن الامن فيها من قبل شرطة محلية، عربية في القرى العربية، واسرائيلية في القرى الاسرائيلية، ويتم تجريد المنطقة العزلاء في مدة اثني عشرا اسبوعا.

وقد ورد في المادة الخامسة، ان كل تجاوز من القوات المسلحة، عسكرية كانت او شبه عسكرية للمنطقة العزلاء يعتبر خرقا فاضحا للاتفاق.

هذا ونقلت وكالات الانباء العالمية، نبأ توقيع هذه الاتفاقية، كما نقلت تصريحا عن لسان موسى شاريت بوصفه وزيرا لخارجية اسرائيل، القاه في مجلس النواب الاسرائيلي جاء فيه ما نصه:

«اذا كنا لم نربح منافع سياسية جديدة. الا اننا امنا الاستقرار لدولتنا كما امنا عدم نشوب حرب جديدة.

قاضي المحكمة الاميركية العليا

وصل الى العاصمة بتاريخ ١٧/ ٧/ ١٩٤٩ المستر دوغلاس، قاضي المحكمة العليا في الولايات المتحدة الاميركية، يرافقه نجله الصغير، ووفد من الصحفيين اللبنانيين وعلى رأسه الاستاذ محي الدين النصولي صاحب جريدة بيروت، وقيل انه يبغي من هذه الزيارة الاطلاع على حالة اللاجئين الفلسطينيين، فدعيت الى مرافقته في رحلة الى محافظة السويداء، حيث نصبت هناك خيام اللاجئين.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمعت الى القاضي الاميركي الكبير الذي كان مرشحا سابقا لنيابة رئاسة الجمهورية الاميركية، فألفيته رجلا جم التواضع، في حدود الستين من العمر، صموت خجول، يغلب عليه الطابع الانكليزي الارستقراطي على الطابع الاميركي(الينكي) يرتدي بزة متواضعة من قماش النيلون الكثير التجاعيد، يأنف اصغر موظف

عندنا من ارتداء مثلها.

اما ابنه الصغير البالغ من العمر ١٥ عاما، فيبدو عليه الادب الجم، وقوة الملاحظة، وكان يرتدي مثل ابيه بزة بسيطة تتناسب وسنه.

وقصدنا السويداء على حين غرة، دون مراسم واحتفالات، ودخلنا مكتب المحافظ الاستاذ عارف النكدي، وكان من القضاة السابقين، وقد استقال في عهد الانتداب الفرنسي من منصب القضاء، وانضم الى الحركة الوطنية، وعمل مدة في الصحافة كرئيس تحرير جريدة «الايام» التي اصدرتها الكتلة الوطنية انذاك، وكان معروفا بصلفه وتمسكه بأهداب الاستقامة الى ابعد الحدود. وكم كانت دهشتنا ودهشة قاضي المحكمة الاميركية العليا بالغة، عندما شاهدنا المحافظ المذكور يقف وراء مكتبه دون ان يتقدم الى مصافحة ضيفه الكبير، الذي يعتبر في الولايات المتحدة الاميركية كأكبر شخصية بعد رئيس الجمهورية.

وصافحنا النكدي ولم يتحرك من وراء مكتبه، ، ونظرنا حولنا لنجد كرسيا او مقعدا، يجلس عليه الضيف الكبير وصحبه، فلم نجد اثرا لأي كرسي او مقعد، فلا يشغل غرفة المحافظ سوى طاولته وكرسيه.

استدرك المحافظ الامر على الفور، وقال ارجو المعذرة منكم جميعا. لاني قررت الا اضع اي مقعد في مكتبي يجلس عليه احد من الزوار او المراجعين، لاني منعت استقبال الضيوف في دوائر الحكومة، وبدأت ذلك بنفسي، لذلك فاني ارجو ان تقبلوا ضيافتي في منزلي القريب من هنا.

ابتسم القاضي الاميركي الكبير ابتسامة ذات مغزى، وامسك بيد المحافظ وقال له: اذن هلم بنا الى بيتك.

واقام الاستاذ النكدي في داره مأدبة غداء متواضعة تكريما للضيف الكبير وصحبه، ثم قام باستقبال وفود الجبل التي امت بيت المحافظ لتحية ضيفه والسلام عليه، ومن ثم قام بزيارة المتحف ثم زرنا مخيات اللاجئين مشيا على الاقدام، ورايت اثار الاسى والالم تنطبع على وجه القاضي الاميركي لدى مشاهدته ما يعانيه هؤلاء اللاجئون من بؤس وشقاء.

واستوقفني لما صعدنا قمة الجبل على حدود فلسطين، وطرح علي عدة اسئلة عن الوضع الزراعي في سورية. وكيفية توزيع الاراضي على الفلاحين، ومدى سلطة الاقطاعية على الفلاحين، وسوى ذلك من الاسئلة الحساسة، فأجبته بأن سورية بعد الاستقلال اخذة في التدرج في طريق الاصلاح الزراعي واقامة صناعات جديدة وان الشعب السوري يسير في طريق النهضة والاصلاح.

ثم طلب القاضي دوغلاس زيارة سلطان باشا الاطرش زعيم الثورة السورية، فتوجهنا الى مقره في «القرية» فاستقبلنا بما عرف عنه من كرم الضيافة وادخلنا منزله الريفي الصغير، المؤثث بمقاعد قديمة على غاية من البساطة،(وقد سبق ورفض قصرا في دمشق اهدته اليه الحكومة السورية)، ودار حديث طويل بين سلطان باشا والقاضي الاميركي حول قضية فلسطين، وكان سلطان باشا لبقاً جداً في حديثه مع القاضي، فسأله هل يرضى الضمير الانساني والضمير الاميركي الذي عرفه العرب يقوم على اساس العدالة وحقوق الانسان، بما حل باهل فلسطين من كارثة ؟ فلم يجبه القاضي بحرف واحد ولزم الصمت المطبق، ثم انتقلنا الى باحة الدار وعرض زعيم الثورة السورية على القاضي بعض خيوله العربية الاصيلة. وكان القاضي من هواة الخيول وقال انه يملك مزرعة خاصة لتربية الخيول الإصيلة، والتقط ابن القاضي لسلطان باشا وخيوله صوراً تذكارية.

بعض مناقب ونوادر الزعيم

في خلال فترة حكم الزعيم تداول الكثيرون من الناس، في المجالس الخاصة والاندية والمقاهي، بعض مناقبه ونوادره وتصرفاته العفوية، منها ما يدل على كرمه واريحتيه، وعدله واستقامته، ومنها ما يمس حياته الخاصة، ويدعو الى التشهير به، والسنة الناس في كثير من الاحيان اقلام الحق كما يقال، وقد اشارت الصحف الموالية له بطبيعة الحال الى بعض هذه المناقب. ولكن صحيفة واحدة لم تجسر على توجيه أي نقد لتصرف من تصرفاته، وتلك هي طبيعة الحكم العسكري، واثرها في نفوس القوم.

ولا يفوتني بهذه المناسبة ان اعدد فيما يلي بعض ما سمعت من هذه المناقب والنوادر:

- كتب اليه صاحب مطعم العجمي في بيروت مطالبا بدين مبلغ حوالي الثمانين ليرة له بذمة احد معلمي المدارس في دمشق، اذ قضى هذا المعلم فترة من الزمن يأكل ويشرب في المطعم المذكور، ووعد صاحبه بتسديد ما عليه من دين فور عودته الى دمشق، ومضت سنوات ولم يسدد المعلم الفاضل ما يجب عليه تسديده فأمر الزعيم على الفور محاسب وزارة المعارف بحسم المبلغ المذكور وتحويله الى صاحب المطعم.

- استدعى احد اصحابه القدامى، وكان يشغل وظيفة مدير مدرسة في اللاذقية، وكلفه - من باب الوفاء - بمنصب مديرية الشرطة العامة، ولكن الرجل ما لبث في هذا المنصب عدة ايام حتى طلب اعفاءه منه، لانه لم يجد في نفسه الاهلية الكافية لشغل مثل هذا المنصب.

- قيل انه سمع ان احد وزراء حزب الشعب السابقين، يحمل

عليه في مجالسه الخاصة في حلب.فارسل سيارة جيب عسكرية لتأتي به اليه.

ولما مثل الوزير السابق بين يديه، سأله الزعيم:

- هل انت فلان؟

قال الوزير السابق:

- نعم انا فلان؟

- اذن فكيت وكيت بك:

قال الوزير السابق:

- اما كان باستطاعة فخامتكم ابلاغي هذه التحية الكريمة هاتفيا، وبذلك تطبق مبدأ الضغط على النفقات ولا تكبد الدولة نفقات نقلي ذهابا وايابا في سيارة حكومية مسافة ٧٣٠ كيلومترا.

- وقيل انه استدعى اليه قائمقام الزبداني، واصدر اليه التعليمات اللازمة للعناية بمصايف الشام، وجعلها لائقة باستقبال المصطافين، واوصاه بمراعاة النظافة التامة.والحد من جشع الباعة، وابتزازالمصطافين..

وهمّ القائمقام بالانصراف فناداه قبل ان يغادر المكان ،وقال له:

- نسيت ان اوصيك، اذا شاهدت احدا من المصطافين او غيره يتمختر في شوارع البلدة بالبيجاما والمنشفة حول عنقه، فأوقفه في سجن النظارة، لبضع ساعات، لتكون عبرة لغيره في الادب والحشمة.

وهم القائمقام بالانصراف، ولما بلغ الباب ناداه الوهم ثانية وقال له:

- .. لا تنسى ابدا ذلك الوقح الذي يقف امام حائط منزل في المصيف ويتسول على مرأى من الناس هذا السافل اجلده مائة جلدة وجلدة.

قال القائمقام دهشاً:

- سمعاً وطاعة.

ولست ادري أفعل بما اوصاه به الزعيم ام لم يفعل؟

- جاءته امرأة من اللاذقية تقول ان زوجها الموظف في وزارة الاشغال العامة قد لقي حتفه في حادث سيارة اثناء قيامه بالواجب، وخلف وراءه ستة اطفال، فمنحها الزعيم مبلغ مائة ليرة من جيبه الخاص، وأمر بزيادة المساعدة المالية المقررة لها من قبل الدولة من ٣ الاف ليرة الى ١٠ الاف ليرة.

- عندما كان الزعيم معتقلا في سجن القلعة، بعد انتصار الديغوليين والانكليز على القوات الفيشية الفرنسية، تعرف في السجن على ارملة المغفور له فوزي الغزي، بطل الدستور السوري، كما كانوا يسمونه، وهي كما هو معلوم من الجميع محكوم عليها، وعلى ابن عمها الصيدلي بالسجن المؤبد لادانتهما بالقتل العمد. اذ ثبت للمحكمة انهما دسا السم للشهيد الغزي عام ١٩٢٨، وكان يسمح لها بالتجول في انحاء السجن بعد ان قضت السنوات الطوال فيه، واثبتت حسن السلوك وتقوم بخدمة بعض السجناء من«الذوات» لقاء اجر معلوم، ورق قلب الزعيم على هذه المرأة المسكينة، ووجد انها قضت من العقوبة ما يكفي التكفير عن جريمتها، فوعدها انه متى اصبح في يوم من الايام رئيسا للجمهورية، فسوف يصدر مرسوما خاصا بالعفو عنها.

وكان في السجن، على ما ابلغني ابن عمه الاخ المرحوم فوزي الزعيم يعاني الكثير من ازمات عصبية، تؤدي به احيانا الى الهذيان.

وتشاء الاقدار، ان تتحقق نبوءة الزعيم في نفسه او قل ان يتحقق هذيانه في السجن بعد سنوات معدودات فيصبح فعلا رئيسا للجمهورية.

وقد بر بوعده لهذه المرأة، واصدر فور استلامه مقاليد الرئاسة مرسوما بالعفو عن ارملة الغزي السجينة مدى الحياة.

هذه قصة واقعية. اغرب من الخيال وهي تدل دلالة واضحة على مدى احلام اليقظة التي كانت تراود الزعيم في سجنه.

يقول الاستاذ فتح الله الصقال، وزير الاشغال العامة في حكومة الزعيم. يصفه بعد اغتياله بسنوات في كتابه المسمى «حكومة الزعيم حسني الزعيم»:

«كان الزعيم طيب القلب، رقيق الاحساس، يشفق على الفقراء والبائسين الخ...»

وقال ايضا في صفحة اخرى:

«كان الزعيم يهدف الى جعل سورية دولة مثلى تضاهي سويسرة. وقد صرح بذلك امام المطران ايزودورس فتال مطران الروم الكاثوليك اذ قال انه يتمنى ان يمد الله في عمره خمس سنوات فقط ليجعل من سورية مثل سويسرة.

وكان يعتقد ان الاصلاح الاساسي، هو في ازالة الفوارق الدينية المختلفة، المنتشرة في طول البلاد وعرضها، وكانت نظريته مطابقة لنظرية كبار المصلحين الشرقيين الذين نادوا ولا يزالون ينادون، بأن الدين لله وحده.

مثله في ذلك مثل غاندي الذي كان يصرح «احب المسلم كما احب الهندوكي سواء بسواء، وفي قلبي احساس واحد وشعور مماثل»

وقال الدكتور صبري القباني في مقدمة كتاب اصدره الزميل بشير العوف عن الانقلاب السوري الاول:

ان الانقلابات كثيرة في التاريخ، ولكن الانقلاب السوري كان فريدا من نوعه، فلم تعلن ثورة، ولم تهرق من الدماء قطرة، فكانت ضربة فنية موفقة، وكأني باليد التي حركتها (ويعني يد الزعيم طبعاً) هي يد

تفوح بالعطر والورد لا تقذف بالنار والبارود.

قال الاستاذ فوزي البريدي صاحب جريدة الاصلاح التي تصدر في نيويورك يصف اخلاقية الزعيم بعد مصرعه:

«قابلت الزعيم قبل مصرعه بيوم واحد، وطلبت منه ان يعين لي صديقا حميا في منصب سام. فأجابني: اوصني برجل كقسطنطين زريق (الذي عين رئيسا للجامعة السورية) وجورج عزيز وغيرهما من الذين اسندت اليهم مراكز كبيرة نظرا لكفاءتهم. اكون لك من الشاكرين، ولا توصيني برجل انا على استعداد لخدمته شخصيا. ولكن غير مرتاح الى تقليده هذا المنصب لانه غير اهل له.

اما انا الذي عرفته منذ خروجه من السجن والتحاقه باحدى قطعاته العسكرية برتبته وراتبه، كعقيد في الجيش، ثم مديرا عاما للشرطة، ثم صاحب الانقلاب ورئيسا للجمهورية ومارشالا، فلم اطلب اليه في يوم من الايام خدمة ما. أو مغنما شخصيا لذلك كنت اراه يعاملني بثقة واحترام. على الرغم من اني قد اثرت اعصابه، اكثر من مرة بأن قاطعته بكلمة حق، او رأي صريح. كنت أومن اني على حق به. وكنت اقدر فيه حبه للنظام ورغبته الاكيدة في تعزيز الجيش وصيانة انضباطه وحسن تدريبه وتسليحه، كنت اراه ضابطا ممتازا. يعرف معنى الانضباط وطاعة الرؤساء وقد حدثني طويلا عن تدريبه العسكري على ايدي كبار الضباط الفرنسيين الذين عمل الى جانبهم في الجيش السوري المختلط ابان حكم الانتداب وقال انه افاد كثيرا من دراسته عليهم، وتلقيه ثقافة عسكرية جيدة وكان علمانيا يكره التعصب المذهبي. وكنت الحظ عليه كغيره من الضباط حبه للظهور بمظهر العسكري الصارم. وولعه الشديد، بالاوسمة والالبسة المقصبة والمذهبة. كل ذلك كان طبيعيا في رجل عسكري. ولكنني لم اكن اتصور في يوم

من الايام انه سوف يستولي على الحكم. ويجمع في قبضته كل السلطات. ويحكم البلاد حكما دكتاتوريا فرديا مطلقا على الرغم مما كان يجول في مخيلته من احلام.

الانجازات التي تمت في عهد الزعيم والمشاريع العمرانية المرسومة

اما واني اكتب للحقيقة والتاريخ، فلا بد لي هنا: وقد اشرفت على نهاية قصة الزعيم من ان اذكر بعضا من الانجازات التي تمت في عهده، والمشاريع العمرانية التي وضعت قيد الدرس والتنفيذ.

١ - تطبيق القانون المدني

٢ - حل الاوقاف الذرية وافادة الالوف من حلها.

٣ - مشروع تأمين النقل الجوي وجعل مطار دمشق مطارا دوليا كبيرا.

٤ - مشروع الاصلاح المالي، ووضع نظام ضرائبي عادل يقوم على اساس التصاعد في الارباح.

٥ - تطهير جهاز الدولة وخاصة القضاء من العناصر الفاسدة.

٦ - وضع مشروع للدستور يساوي بين المرأة والرجل ويمنح المرأة حقوقها الانسانية كاملة.

٧ - وضع مشروع بتوحيد اللباس، والغاء الطربوش، وابدال الازياء القديمة بزي موحد، على النسق الغربي (وكان يصرح في مختلف المناسبات بأن مظهر شعبنا يشبه الكرنفال بتعدد ازياء افراده حتى ان الكثيرين من الاجانب يحسبون الشعب السوري يعيش في عيد المسخرة على الدوام).

٨ - استتباب الامن في جميع انحاء البلاد وتضاؤل نسبة الجرائم والاعتداءات، (ولما زرت محافظة السويداء صرح لي رئيس

الدرك هناك انه لاول مرة يستطيع ان يخرج الجابي الى القرى ليحصل الضرائب دون ان يرافقه دركي او شرطي ما).

٩ - الشروع ببناء عدد وفير من المدارس والمستشفيات وابنية الدولة وشق الطرق العامة.

١٠ -استدعاء خبراء من فرنسا لجر مياه الفرات الى مدينة حلب العطشى وصدور المرسوم بذلك.

١١ -الشروع بانشاء مرفأ اللاذقية.

١٢ -سن قانون التحسين العقاري، وقانون التجارة ،وقانون الجيش.

ديوان المظالم كثرة الوشايات والدسائس والسعايات تعليق الأديب سامي الكيالي على الغاء هذا الديوان

في اوائل عهد الانقلاب امر الزعيم باحداث ديوان لسماع شكاوى الناس ومظالمهم، سمي بديوان «المظالم» فانهالت على هذا الديوان الالوف المؤلفة من الشكاوى، ولما نظر فيها اعضاء الديوان المعينون لهذه الغاية، وكلهم من خيرة قضاة وموظفي الدولة، وجدوا ان اكثرها عبارة عن دسائس ووشايات وسعايات، وبعضها لاحل له الا عن طريق القضاء العادل، على مختلف درجاته، ولذلك قدموا الى الوزارة مشروعا بالغاء هذا الديوان.

وقد بعث الاديب الاستاذ سامي الكيالي اليّ تعليقا حصيفاً على هذا الالغاء، اقتطف منه بعض الفقرات التالية نظرا لطرافة الموضوع:

حين وقع الانقلاب، وتنفس الناس الصعداء، كثرت الظلامات، وكثرت الشكاوى واتهم الكثيرون من موظفي الدولة في امانتهم

ونزاهتهم، مما اضطر القائد الى ان ينشىء «ديوان المظالم» واخذت الشكاوى تنهال كالسيل المنهمر على هذا الديوان بعضها على حق واكثرها باطل، الامر الذي ضاقت به الدولة.

ذكرني موقف الحكومة من الوشايات والسعايات، بموقف الوزير الخطير، ابن الفرات، اشهر وزراء الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر، فقد مرت حياة هذا الوزير بالوان مختلفة من التيارات السياسية العارمة - وليس هنا مجال الحديث عنها - بل اردت ان اقول ان الوشايات كثرت في عهد المقتدر. وكان ابن الفرات من اشهر وزرائه، وكان يكره السعاية والسعاة لشدة ما عانى زمنه منها، ولكثرة من ذهب ضحية لها، فقد اتخذ القوم السعاية حرفة، حتى كانت هي الاصل والجوهر في حياة كثير من الناس، وما عداها من الاعمال على هامشها، وهي دأبهم في النهار، وسمرهم في الليل، وتدبيرهم اذا خلوا الى شياطينهم، فأراد ابن الفرات ان يقضي على هذه العادة السيئة، فكانت اذا رفعت اليه سعاية، خرج من عنده غلام ينادي في الناس المحتشدة امام داره:

اين فلان بن فلان الساعي؟ فيشهر سعاية ويجمع بينه وبين من سعى به، فلما عرف الناس منه ذلك كفوا عن سعايتهم.

وحين عاد الى الحكم، أي حين الف وزارته الثانية، حمل اليه صندوقان عظيمان فيهما اسماء من يعاديه ومن يكيد له، ومن يعمل لخصومته، فقال لا تفتحوهما، ودعا بنار وطرح الصندوقين بهما فلما احترقا قال:

لو فتحتهما وقرأت ما فيهما، لفسدت نيات الناس بأجمعهم علينا، واستشعروا بالخوف منا، وبما فعلنا من احراقهما، هدأت القلوب وسكنت النفوس.

حقا ان السعايات الداخلية كثيراً ما تكون افتك بكيان الوطن من

السعايات الخارجية، ومرد ذلك ميوعة الاخلاق التي هي جزء من ضعف الوطنية.

لقد خسر العرب الحرب في فلسطين اخلاقيا لا حربيا، فلولا الضعف المكين في اخلاق الزعماء، ولولا هذا التنافس على الزعامات الخاوية، ولولا هذه الانانية السوداء التي تحتل صدور بعض من الزعماء لما اضعنا اثمن بقعة من ارضنا العربية، ولما حلت بنا هذه الكارثة الكبرى.

ان سورية العربية، في مختلف عهودها، كانت تدعو صادقة، وتنادي مخلصة، بلسان حكامها وجماعاتها واحزابها، بالتضامن العربي بل الاتحاد والوحدة العربية، ولكن بعض زعماء العرب، كما قال الاستاذ الكيالي - ان لم نقل اكثرهم، لا يستمعون الى نداء الضمير، ولا الى صرخات الشعوب، كأن في اذانهم وقراً، وهم لا يزالون منشغلين عن قضايا الامة المصيرية، بتوافه الامور، وبالسعايات والمباحث، وقد اعمت ابصارهم بهارج الرئاسات والعروش، فمنهم من ينادى بتحرير ارلنده الشمالية والمسلمين في الفلبين والصين، ومنهم من يعيش بين جواريه وسراريه، غير عابىء بما يخبئه له القدر من شر مستطير وسوء مصير، ومنهم من لا يزال يطلق الشعارات الفارغة، ويلقي الخطب الجوفاء، مناديا بالحرب والتحرير، فاذا دعا الداعي الى ذلك، في يوم عبوس قمطرير تلاشوا عن الانظار، وكأنهم في الهزيمة كالفئران لا كالغزلان ونادوا عندئذ: الرجولة - كل الرجولة - لا بالحرب: بل بالفرار فيا للعار.

بطانة الزعيم

اتهم الزعيم بعد ان لقي مصرعه ،بأنه احاط نفسه ببطانة السوء، الامر الذي أودى به وبحياته وفي الواقع ان هذا الاتهام لا يقوم على اساس من الصحة »؟، فلم تكن حاشية الزعيم من وزراء ومستشارين، قد جمعت كل خائن وحثيل، مجهول الاصل (كما ورد في البلاغ رقم٥ الذي صدر فور اغتيال الزعيم ورئيس وزرائه.)

استطيع هنا ان اؤكد ان هذا الزعم افتئات على الحقيقة، فقد اختار الرجل وزراءه ومستشاريه من خيرة رجالات البلاد عفة ونزاهة، وعلما وكفاءة.

واني اتساءل:

هل كان فارس الخوري خائنا؟

هل كان خليل مردم بك وزير المعارف وشاعر الثورة السورية، ورجل الادب والفضل حثيل قومه؟

هل كان اسعد الكوراني، رجل القانون، وبطل القانون المدني اميا؟

وهل كان الامير مصطفى الشهابي العالم العلامة، رجلا جاهلا؟ وهل كان فتح الله الصقال وزير الاشغال العامة وصاحب المشاريع الكبرى وهو الذي انقذ بدفاعه المجيد ابراهيم هنانو الزعيم الوطني الثائر من حبل المشنقة رجلاً خاملا؟

وهل كان نورى الايبش وزير الزراعة، وخريج اكسفورد، المعروف بحبه للاصلاح، الذي وزع اراضيه على الفلاحين، رجلا مجهول الاصل؟



حفلة عسكرية ويبدو من اليمين الحناوي قائد الانقلاب الثاني ، واديب الشيشكلي (الثالث من اليمين) قائد الانقلاب الثالث

الحفلة الأخيرة

واسدال الستار

استيقظت بعد منتصف ليل الاحد الواقع في ١٤ آب (اغسطس) على طلقات ورشاشات استمرت زهاء الخمس دقائق تقريبا ، فادركت بالبصيرة ان حدثا ما قد وقع ، وعدت الى النوم غير مطمئن لسماع هذه الطلقات ، ولما افقت صباحا ادرت مفتاح الراديو على اذاعة دمشق ، فاذا بالمذيع يعلن البلاغ رقم ١ و ٢ و٣ و٤ و٥ على التوالي.

لقد وقع الانقلاب الثاني بقيادة الزعيم سامي الحناوي ، واعدم حسني

الزعيم، والدكتور محسن البرازي رميا بالرصاص بالمزة.

ومما اثار دهشتي ان يتزعم هذا الانقلاب الثاني سامي الحناوي صديق الزعيم الحميم، وإذ كنت اتوقع غيره ان يقوم بالانقلاب على الزعيم.

اعتقال اللواء الحناوي وهرب الدكتور طلس

اما كيف تم الانقلاب الثالث بقيادة اديب الشيشكلي فاورد فيما يلي خلاصة للاحداث التي جرت في ذلك اليوم نقلا عن مجموعة الصحف السورية:

وقع في الساعات المبكرة من صباح الاثنين المصادف في ١٩/ ١٢/ ١٩٤٩ «حادث داخلي» قامت به القوات المدرعة واللواء الاول للجيش السوري، استهدف تنحية اللواء سامي الحناوي رئيس اركان حرب الجيش والدكتور اسعد طلس، الامين العام لوزارة الخارجية، وعديل اللواء الحناوي عن منصبها، وقد سبب هذا «الانقلاب الجديد» رجة في العاصمة ما لبثت ان هدأت بعد ان تبين للناس الاهداف الحقيقية التي يرمي اليها القائمون بهذه الحركة وقد عادت المدينة بعد الظهر، او كادت الى حالتها الطبيعية، وفيما يلي تفاصيل الانقلاب الجديد:

في الساعة الخامسة من صباح امس الاثنين، كانت القوات المصفحة والدبابات والمشاة التابعة للّواء الاول تخترق شوارع العاصمة لتصل الى المراكز الرئيسية فيها لاحتلالها، وذهبت قوة الى دار اللواء سامي الحناوي فقرعت عليه الباب، وعندما اخذ بعضهم يقول له:

لقد طوحت البلاد وبنظامها الجمهوري قال:

– لا يهمني جمهورية ولا يهمني سجن انني نازل اليكم ، ولبس ثيابه

بسرعة ونزل اليهم، فركب في مصفحة قادته الى مقر رئاسة الامن الداخلي ومنها الى المستشفى العسكرى بالمزة.

وذهبت قوة اخرى لاحتلال مركز الشرطة العسكرية ، فتمنع بعض الجنود من الاستسلام. فاطلقت عليهم المدفعية النار فخرج شرطيان، واحتلت القوة المركز، كما جاءت قوة اخرى الى المصرف السوري للمحافظة عليه، فظن رجال الدولة ان الجنود سيحتلون المصرف ليأخذوا امواله فقاموا بقتل احدهم.

وفي هذه الاثناء كانت قوة عسكرية اخرى تذهب الى دار الدكتور اسعد طلس لالقاء القبض عليه ولكن الدكتور طلس كان متغيبا في بيروت (وقد علم بعد ان الدكتور طلس دأب على السفر الى بيروت ليلا منذ عدة ايام، وقضاء ليله هناك، لاسباب مجهولة. لعلها توجسه من قيام انقلاب جديد)

ثم اعتقلت قوة اخرى المقدم محمد معروف رئيس الشرطة العسكرية. والمقدم محمود الرفاعي رئيس المكتب الثاني (المخابرات) في الاركان العامة.

ولم يعتقل احد من السياسيين على الرغم من الشائعات الكثيرة.

واحتلت القوات العسكرية منطقة المرجة ومنعت الموظفين من دخول الدوائر الرسمية.

وفي الساعة السابعة والدقيقة الخمسين. اذيع من راديو دمشق نص البلاغ رقم« واحد » الصادر عن بطل الانقلاب الثالث العقيد اديب الشيشكلي.

وقد كررت محطة الاذاعة اذاعة هذا البلاغ عدة مرات، ثم توقفت عن البث في تمام الساعة العاشرة.

تبين لي مرة اخرى ان مرور الزمن على حقائق الحياة السياسية العاصفة لا ينهي الجدل المتناقض حولها. لقد عايشت فترة انتقالية حيوية جدا من تاريخ العالم العربي عبر نشاطاتي في سورية. وقد أصبحت شاهداً رئيسيا منذ ٣١ عاماً على أحداث هزت المنطقة العربية، وفتحت النافذة امام ريح التطورات التي أقامت دنيا العرب ولم تقعدها.

لقد كنت أتردد في رواية شهادتي عن الخلافات السياسية التي تصنف رواة احداث التاريخ «كشهود زور!» ولكنني وجدت بسائق تجربتي ان الحقيقة مقدسة. وان التعليق حر... فرويت الأحداث التي عايشتها، والحقائق التي عرفتها، متوخياً ان اكون موضوعياً الى الحد الأقصى. فلقد مر ما يكفي من الوقت لتبرد الجراح. ولتتبخر الضغائن، ولتعود الرؤية الموضوعية المشتركة بين خصوم الامس فالقضية هي قضية تسديد «ذمة» أمام التاريخ. وكان هذا هو رائدي، مع ان المرحوم حسني الزعيم كان عديلي. ومع أنني اعترف بأنه تلمس استخدام كفاءاتي وعلاقاتي. واعترف بأنه ربما جعل مني نجماً في ليل حالك مضطرب. ولكن وجدت انني لا استطيع وخاصة بعد مضي هذا الزمن. وبعدما اصبحت الحقيقة الموضوعية ملكاً للتاريخ. وجدت أنه يجب أن أسجل الوقائع مجرداً عن كل انفعال يستمد أسسه من القربى، وصلات الود والمشاركة.

من هنا، لم أعجب كثيراً لعنف الردود التي أثارتها الحلقات التي نشرتها. واذا لم أكن اتوقع مثل هذا العنف في الرد فانني كنت لا أشك في أن الطبيعة الانسانية، تظل محكومة بعوامل ومفاهيم الاخلاص لذكرى الذين ينتمي اليهم اصحاب الردود.

الاستاذ محمد الالوسي مثلا، كتب من المملكة العربية السعودية يحتج ويتهجم لانني أوردت حقيقة شائعة عن الحلف الطبيعي بين معظم آل

الالوسي وبين نظام المرحوم نوري السعيد. فلا شك انهم كانوا من أعمدة النظام خلال عهد المغفور له الملك فيصل الاول وبعده. واذا كان نوري السعيد هو الذي استقطب السلطة والنفوذ. وتمثيل العهد الملكي في العراق، على الرغم مما يؤخذ عليه قومياً ووطنياً في فترة طويلة من حياة النظام العراقي، فان الراهن أن حبل الود لم يكن مصروما بين آل الالوسي الكرام وبين نوري السعيد. ففي فترة الانقلاب الاول في سورية، كان الوزير المفوض العراقي في دمشق هو المرحوم موفق الالوسي... وربما اغفلت التوسع في دوره خلال الفترة الاولى من الانقلاب. فقد بذل أقصى جهده - والحق يقال - لكي يقيم صلة عضوية ثنائية بين نوري السعيد وحسني الزعيم. ولولا ان تيارات النفوذ العربي الاخرى تدخلت في الوقت المناسب لكانت قد تحققت اول وحدة سورية - عراقية.

لقد لفتني ايضاً رد السيدة الفاضلة حرم المرحوم الدكتور أسعد طلس. والله يشهد انها مثال في الوفاء لذكرى الزوج الذي استطاع ان يحقق للعائلة مجدا شخصياً. ولكن الحقيقة المعروفة هي ان الرابطة العائلية بين الدكتور طلس والمرحوم سامي الحناوي كانت الدافع الاول والحاسم في اختيار الدكتور طلس لمهمة كانت حيوية في تلك الحقبة من تاريخ سورية. لانه في آن واحد، كان يملك اذن بطل الانقلاب. وفي الوقت نفسه، كان على صلة طيبة ببغدادوكان موضع ثقة بغداد كوسيط وضابط اتصال مع التيارات التي التفت حول الحناوي واعطت لعهده طعماً ولوناً خاصاً.

ومن هنا لم يكن غريباً أن يكون اول قرار للحكومة التي سلمها الحناوي الحكم، مرسوما بعزل المرحوم ابراهيم اسطواني امين عام وزارة الخارجية السورية، وبأعادة الدكتور اسعد طلس من سلك التعليم الى السلك الخارجي خلفاً للاسطواني... وليس هنالك في الحقيقة من يجادل

في نفوذ الحناوي في استصدار مثل هذا المرسوم. فربما كان الدكتور طلس مقتدراً في الشؤون الخارجية. ولكن ذلك شيء واقرار ورثة عهد حسني الزعيم بذلك شيء آخر.

لقد مر ما يكفي من الزمن ليجعل من تفاصيل علاقتي خاصة بعد سقوط حسني الزعيم مع الدكتور طلس من الامور الهامشية التي لا يجب ان تشغل اي حيز في اي شهادة امام التاريخ. ويكفي أن أذكر أن العلاقة بيني وبين الدكتور طلس رحمه الله عادت طبيعية جداً بعد خروجي من السجن. وكان الفضل في تصفية ما علق بصلاتي معه يرجع الى الصديق والاخ الكبير الذي اعتز به، وأحفظ له ما علمني من دروس واقعية في الرؤيا السياسية استاذي اكرم زعيتر. لقد أزال ما بيننا من جفاء بدليل أن المرحوم الدكتور طلس بعد خروجه من وظيفته كان يكثر من التردد على مكتبي في جريدة الانباء حيث كنت اعمل كناشر ورئيس تحرير. وقد صدف ان كان عندي ذات مرة عندما زارني على غير موعد السيد خالد البرازي نجل المرحوم الدكتور محسن البرازي الذي قتل مع حسني الزعيم. ولما شاهده عندي انكفأ عائداً.

وقد عرته مشاعر الاستياء والاستنكار من ثم اتصل بي بعد ذلك قائلا: كيف تستطيع يا نذير أن تستقبل قاتل والدي؟... وقد اقتضى الامر مرور اربع سنوات على الاقل لاسترضاء العزيز خالد البرازي وافهامه بأنني كعامل في حقل الصحافة والسياسة، لا أستطيع أن اقفل مكتبي في وجه اي انسان. وعلى أساس: عفا الله عما مضى...

ولعلّي يجب أن ارد على رسالة السيد نبيل الحناوي نجل المرحوم سامي الحناوي. انني في هذا المقام لا استطيع الا أن احيي اخلاصه لذكرى والده. وانفعاله من مداعبات تقادم عليها العهد. ولكنها كانت اثناء الاحداث من الحقائق الثانوية التي كانت تؤمن عنصر التسلية للجماهير. ولا شك أن ما من احد يمكن أن يشكك في شجاعة الحناوي وفي

مسلكيته كضابط نظامي. فقد كان من هذه الناحية متفوقا. ولكن الرؤية السياسية ليست رهينة بالكفاءة العسكرية.

على رغم مرور الزمن الذي أسدل ستار النسيان على الاحداث والجراح، فقد كان ما أثارته كتاباتي عن عهد الزعيم دليلا على أن الفترات الحيوية الانتقالية في حياة الامم لا يمكن ان تمر بدون ان تثير ذكراها العواصف. وبدون أن يتناقض الشهود امام محكمة التاريخ والواقعية.

فهرس المحتويات

DAYS OF HUSNI AL - ZA^{c}IM

137 DAYS SHOOK UP SYRIA

BY

NAZIR FANSA

Dar Al-Afaq Al-Jadidah

Beirut - Lebanon

ايام حسني الزعيم

- انقلاب الزعيم حسني الزعيم ، الذي غير في العام ١٩٤٩ موازين الحكم في سورية وأثر في ما بعد في مجريات احداث العالم العربي .
- الانقلاب الذي أثار خيال « الضباط الاحرار » في مصر فخلعوا الملك فاروق عام ١٩٥٢ .
- قصة الانقلاب تنشر للمرة الأولى .

حسني الزعيم ؟ شيطانا كان ام ملاكا ؟ مخلصا كان ام مدفوعا ؟ مصلحا ام مخربا ؟ من كان معه ؟ من كان وراءه ؟ ماذا كان يريد بالضبط ؟ كيف كان يرى سورية وهو يحاول في فترة خاطفة أن يقولبها كما يريد ؟ من عمل معه ؟ ومن تامر ضده ؟

- بعد ثلاثين سنة يفتح احد الذين خططوا مع الزعيم انقلابه ، ملفاته ليروي كل شيء .
- هذا الشخص هو نذير فنصه ، الصحافي السوري الذي كان صديق الأيام الصعبة للزعيم ، ثم نسيبه ، ثم رفيق أيام المجد والتألق ، ثم وحيدا بعد السقوط .
- فجأة ستعود كل الشخصيات السورية الى الظهور من العدم او من النسيان لنرى كيف كانت وماذا فعلت وكيف دفعت ، سلبا او ايجابا ، الزعيم حسني الزعيم الى القيام بانقلابه الذي دام ١٣٧ يوما ولكنها أيام هزت سورية .

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الثمن : ٢٠ ل.ل.